المشرق

سياحة حديثة في الصعيد

للبحث عن الآثار المسيحية القديمة

للاب ميشال جوليان اليسوعي

١

لا يجهل من لهُ المام بتاريخ نسَّاك القرن الرابع للمسيح ان مفاوز الصعيد اضحت عامرة زاهية بعد ان نشر فيها بولا الناسك وانطونيوس الكبير لواء الزهد والتعبد. فتقاطر المسيحيون من كل فجّ وأوب الى تلك الأقفار وعمروا فيها اديرةً اشبه بقرى واسعة او مدن زاهرة انقطعوا فيها الى خدمة الله. وكان عددهم لا يزال ينمو مع الايام حتى انَّ الدير الواحد كان يشتمل على ٤٠٠٠ راهب او اكثر فخيف من انَّ حواضر مصر تُصبح قفرًا بعد هذه المهاجرة العجيبة

على انَّ بين هؤلاء رجال الله قد امتاز راهب اطرأ في ذكرهِ قدماء المؤرخين على اختلاف بلدانهم ولغاتهم ألا وهو الانبا يوحنَّا المصري ذكرهُ كاسيان (في مباحثاته ١: ٢١ و ٢٩) وسُلبيس ساويرس (المحاورة ١ ف ١٣) وبالاديوس (في تاريخهِ ف ٤٣) والقديس اوغسطينوس (في كتاب مدينة الله ك ٥ ف ٢٦) وروفينوس (في تاريخ الرهبان ك ٢ ف ١) وتاودوريطس (ك ٥ ف ٢٤) والمؤرخ سوزومان (ك ٦ ف ٢٨). وقد دعاهُ هؤلاء الكتبة وغيرهم باسماء مختلفة فمنهم من يدعوهُ يوحنا الصغير وبعضهم يسمّيه يوحنا السيوطي ويوحنَّا المصري ويوحنا المطيع. وقد اثبت البولنديون في اعمال القديس (٢٧ آذار و ١٧ تشرين ١) انَّ هذه الاسماء انما تدل على مسمًّى واحد

وقد ابقى يوحنا المصري آثارًا لا تزال تنطق عن فضلهِ منها شجرة من المَيعة (styrax) تُرى اليوم في بريَّة نطرون وارقة الافنان عند مدخل دير قديم استولى عليهِ الخراب يدعوها رهبان القبط واهل بادية الصعيد شجرة الطاعة. وقد جاء خبرها في تاريخ سليبس ساويرس قال: انَّ رئيس هذا الدير لمَّا اتاهُ يوحنا المصري لينتظم في سلك رهبانهِ اخذ عصاتهُ وكانت من المَيعة فغرسها في الارض وامر الطالب الجديد ان يسقيها كأنَّها نصبةٌ حيَّةٌ الى ان تزهر وكان الرئيس يريد بذلك اختبار طاعة تلميذهِ. فامتثل يوحنا امرهُ بسذاجة عجيبة وداوم على ذلك ثلاث سنوات دون ان يتردَّد في العمل حتى اظهر الله فضل عبدهِ فاخضرَّت العصاة ونبت فيها ورق ثم اكتست بالزهور. وقد شهد بهذه المعجزة قوم من الأعلام الأثبات ممن عاينوا الامر وتحققوا صحَّتهُ. وقد رحلنا نحن ايضًا قبل بضع من السنين لتفقُّد هذه الشجرة وكتبنا مقالة عمَّا سمعناهُ وشاهدناهُ (١

على انَّ للانبا يوحنا المصري آثارًا غير هذه طلبناها في جوار اسيوط. لانَّ تاريخهُ يفيدنا عنهُ انهُ بعد زمن قضاه في اديرة النطرون انتقل الى القفر المجاور لاسيوط ليصرف فيهِ حياتهُ بالمعيشة النسكيَّة والزهد التام منفردًا عن البشر. فوجد على مسافة ميلين منها مغارة صعبة المرتقى منقورة في الصخر فدخلها وتحصَّن فيها دون ان يفتح بابها لاحد الَّا لپلاديوس المورخ الذي سطَّر ترجمة حياتهِ (في الفصول ٤٣—٤٦ من تاريخهِ). ودخل يوحنا هذا الكهف سنة ٣٤٦ ولهُ من العمر ٤٢ سنة وعاش فيها منقطعًا الى الله سنة ٣٩٤

فهذه المغارة المباركة التي قدَّسها رجل الله بممارسة جميع الفضائل مدة ٤٨ سنة تستحق اكرام المؤمنين ولا ريب ان المسيحيين لو عرفوها لحجُّوا اليها وتبركوا بزيارتها. على ان صروف الزمان ونوائب الدهر توالت على هذه البلاد فاخنت على تلك الآثار الجليلة وجعلتها نسيًا منسيًا لا يعرف بوجودها احد. ولمَّا راجعنا ما كتبهُ دليل «بديكر» في هذا الصدد وجدنا ما فتَّ في عضدنا وكاد يقطع املنا من اكتشاف هذه المغارة فانهُ يؤكد انهُ لا سبيل لمعرفة مقام القديس يوحنا المصري وان مغارتهُ كنخاريب الجبل العديدة لا تمتاز عنها في شيء.

١) راجع كتابنا المعنون «مصر» ص ٤٨. واعلم ان سليبس ساويروس لم يذكر اسم الراهب الذي جرت على يدهِ هذه المعجزة غير ان كاسيان صرَّح باسمهِ وان كانت روايتهُ مختلفة

وكذلك لم نجد بين اهل اسيوط احدًا يرشدنا الى ضالّتنا فانّ سكّان هـذه البلدة غائصون في امور عالمهم لا همَّ لهم بمثل هذه المباحث. والكاثوليك منهم قليلو العدد لا يتجاوزون الاربعمائة تراهم ضائعين بين ٤٥,٠٠٠ نفس ممن يقطنون البلد ولم يخطر على بالهم ذكر الانبا يوحنا ليتفقدوا آثاره

بيد اننـا مع ذلك لم نيأس من اكتشاف منزل القديس فاخذنا نراجع التواريخ القديمة لعلّنا نقف فيها على الاعلامات الكافية لتحديد المكان والاطلاع عليه. فجمعنا من ذلك ما جمعنـا لاسيما من تاريخ بلاديوس الذي زار قدّيسنا في حياته ووصف مسكنهُ

ثمَّ اخبرتُ عن قصدي اخوة المدارس المسيحية الذي كنت نازلًا عندهم في اسيوط فاحبوا ان يرافقوني ويبحثوا معي عن منسك ولي الله

واول ما تحققناه انَّ كهف يوحنا المصري لم يكن كهفًا طبيعيًا لان هذه الكهوف الطبيعيَّة تحفرها المياه الجارية وهنا لا اثر للماء. فبقي ان نبحث على كهوف نقرها الناس في ام الصخرة. غير انَّ مثل هذه المغاور عديدة جدًا في جوار اسيوط منهـا في الجبل المطل عليها يراها المسافر من بعيد على ثلاثة صفوف مستقيمة. ومنها في الآكام التي تنتصب جنوبيَّ المدينة وغربيها. ومنهـا اخيرًا في اعالي الصخور التي تضغط مياه نهر النيل على مسافة ساعتين من المدينة

وان سأل سائل عن اصل هـذه الأغوار وهل نقرها سيَّاحُ الصعيد في الصخر ليسكنوها. اجبنا انما كانت هذه المغاور في ايَّام الفراعنة مقالع اتخذ منها ملوك مصر حجارتهم لمبانيهم العظيمة. ثمَّ جعلها بعدهم اهل المدن مدافن لموتاهم ونقشوا عليهـا النقوش والكتابات الهيروغليفية. ولمَّا ضاءت انوار النصرانيَّة في مصر وكثر عدد النسَّاك كنت ترى الحبساء ينقطعون الى الله في هذه المغاور فيجعلون فيها سكناهم. ولنا على ذلك شواهد لا تُنقض وهي الصلبان التي تزيّنها والكتابات المسيحيَّة المخطوطة على جدرانها كالادعية والصلوات وآيات الاسفار المقدسة

هذا ولم نحاول التفتيش عن مقام الانبـا يوحنا المصري في جبل اسيوط المشرف عليها لان هذا المكان قريب من المدينة لا يوافق ما دوَّنهُ بلاديوس المؤرخ عن وعورة المكان وتعيين مسافته

امّا المناور الواقعة عند جهات الآكام التي في جنوب المدينة وفي غربها فانها تطابق قول المؤرخ بلأديوس من حيث المسافة اذ هي تبعد عن اسيوط نحو ساعتين. ولكنها لا تنطبق عليه من حيث صعوبة المرتقى ووعورة المسلك وهي اشبه بالمدافن منها بكهوف لسكنى العبّاد. وما لا ريب فيه ان فوق هذه الرُبى الجنوبية آثاراً عديدة للنصرانيَّة من ابنية ومدافن. وقد وجد فيها المهندس الفرنسوي دوبوا ايمي (Dubois-Aymé) احد علماء بعثة نابوليون الاول (١ توابيت من خشب الجمّيز فيها جُثث غير محنّطة رجّح كونها اجسام السياح الذين تنسّكوا في هذه الاماكن مع النصارى الذين احبوا ان يُدفَنوا هناك بجوار مناسك الرهبان. وكانت هذه الاجسام سالمة لم يعمل فيها الفساد. وممّا يؤيد زعم المهندس المذكور آثار دير قديم يدعوهُ الاهلون « دير المظم » اشارة الى القبور التي اتخذها المسيحيون في هذا المكان. امّا المناور المنقورة في الصخر فهي نادرة في هذا المحل

٢

فلم يبقَ لنا سوى الصخور المُعتِنة التي على جانبي نهر النيل. فعمدنا اولاً على زيارة الضفة الشرقيّة لكثرة ما في صخورها من المناور وآثار الاديرة القديمة. فخرجنا باكراً من اسيوط ومشينا عند حفّ الجبل في طريق سهلة افضت بنا بعد ثلاثة ارباع الساعة الى قرية أُذرنكا فاجتزنا في وسط مقبرة النصارى وتأثرنا من حسن هندامها وسررنا لاكرام الاهلين لرتاهم. وممّا أعجبنا مدافن مقبَّبة بيضاء شيّدها الموسرون من الاقباط لذويهم. امّا بقيّة القبور فهي محدَّبة مطلية بالكلس في رأس كل منها خمس اجرّات على هيئة صليب. وللكاثوليك في هذه المقبرة مكان خاص يُحدق به حائط يصونهُ وترى بين قبورهم صليباً كبيراً يقيّ بظلّه الراقدين بالرب فجئنا هناك وصلينا عند قبرَيْ مرسلَيْن من الرهبانيَّة الفرنسيَّة التي حافظت وحدها مدَّة قرون مديدة على كنز الايمان في هذه البلاد جازاها الله الف خير

ثم اخذنا نتوقّل الجبل بين الصخور. فكان اول كهف تفقّدناه مدفناً كبيراً في منعطف الجبل قُبر فيه في سالف الزمان احد الفراعنة. وهذا الكهف منقور في الصخر

(١ راجع كتاب Description de l'Egypte, T, XV, p. 203, 2e ed.

واسع الارجاء. كانهُ الحجرة الرحبة وعلى جانبيهِ غرفتان صغيرتان وهناك جرن كجرن العماد الذي يستعملهُ الاقباط. ولا مراء انَّ بعض السياح سكن هذا المدفن فصار من بعدهِ معبدًا

ثم واصلنا سيرنا بين تلك الصخور فوصلنا بعد ربع ساعة الى قرية حقيرة تُدعى دير أُدرنكا يسكنها الآن نحو ٣٠ عائلة قبطيَّة من صعاليك القوم واسم الضيعة يدلُّ على انها كانت سابقًا ديرًا للرهبان. ولها اليوم كنيستان الواحدة منقورة في الصخر والاخرى في سفح الجبل على اسم العذراء. وليس لدير أُدرنكا الآن كاهن يقوم بامورها الروحيَّة

وجنوبيَّ المدينة مقالع قديمة العهد متَّسعة الارجاء. يبلغ طول بعضها نيفًا ومئة متر فدخلناها لعلَّنا نجد فيها آثارًا مسيحية. فلم يُجدنا البحث نفعًا الَّا ان هذا المكان مطلٌّ على السهل تُرى منهُ اسيوط ومبانيها ومآذنها مع ما يحدق بها من خضرة المزارع والجبال المجاورة لها ونهر النيل الجاري قريبًا منها. فاثلج هذا المنظر صدورنا واقرَّ عيوننا وانعش قوانا فنزلنا من هذه الآكام وجرينا مسرعين في السهل الى ان لاحت لنا بعد ساعة فرعةٌ أُخرى مع. آثار مائلة من دير قديم اصبح اليوم ضيعةً صغرى فوجب قلبُنا لهذا المنظر وشعرنا اننا اوشكنا على ادراك المرغوب. لانَّ موقع هذا الدير ومسافتهُ من اسيوط وصعوبة مرتقاهُ تطابق ايَّ مطابقة ما كتبهُ پلاديوس عن مغارة الانبا يوحنا المصري

فرقينا في شِعْب من الجبل وعر المسلك افضى بنا الى درج منقور في الصخر متقن العمل وجدنا في اعلاهُ اهل القرية قد اجتمعوا مع راعيهم لاستقبالنا. فرحَّبوا بنا واكرموا مثوانا واعلمونا ان اسم الضيعة دير ريفة. ثم رافقونا في زيارة كنيستهم وما يكتنف بها من الآثار القديمة. وما استلفت نظرنا في بادئ الامر باب القرية فلحظنا ان عتبتهُ العليا صفيحة قديمة من الرخام عليها نقوشٌ جميلة من الطرز البوزنطي وعلى اطرافها آيات من الكتاب المقدس بالقبطيَّة. ووراء هذا الباب معبرٌ معوجٌ على شبه الكوع ذكَّرنا بمداخل الحصون والقلاع الحريزة. فلمَّا اجترناهُ وصلنا الى ساحة الدير القديمة ثم صعدنا منها الى سطحٍ شُيّدت الكنيسة بازائهِ

وكان في وسط السطح مقرأةٌ عليها كتاب ضخم مجلَّد برقّ الغزال وهو مكتوب بالقبطيَّة وكان خطهُ جميلًا قديم العهد وعلى حواشيهِ نقوشٌ مذهبة وتصاوير بالوان

ناصعة فلم نشك انهُ من عمل قدماء الرهبان. وقد جُعلت المقرأة على السطح ليجتمع حولها اهل القرية ويصلُّوا مع كاهنهم صلوات جمعة الآلام. وهذه الصلوات طويلة جدًّا عند الاقباط اليعاقبة فآثروا ان يصلُّوها على السطح لان كنيستهم مظلمة لا يجري فيها الهواء.

اما الكنيسة فلم نجد فيها شيئًا يستحق الذكر الَّا ان فوق عتبتها نقوشًا تمثّل اغصانًا من الشجر مع صور حيوانات شتى. وداخلها منقور في الصخر الصلد يتركَّب من عدَّة غُرف جُمع بينها على هيئة الكنائس القبطيَّة الحالية وانما كانت في سالف الزمان مجهَّزة لدفن الموتى. وامام القدس مشبَّك (شعريَّة) جميل من الخشب صغير التقاطيع لهُ بابان مرصَّعان بالعاج قد كُتب بهِ على باب الشمال: «اننا نسجد لك ايها المسيح الهنا» وعلى باب اليمين: «السلام لهيكل الله ابينا»

ولمَّا انتهينا من زيارة هذه الكنيسة التي لم نستفد منها ذكرًا للقديس يوحنا المصري سألنا اهل القرية أيعرفون غير هذه الكنيسة؟ فأروْنا قريبًا من هناك صخرًا كبيرًا مقطوعًا قطعًا عموديًا وفي وسط الصخر مداخل واسعة تُفضي الى معبدٍ دعوهُ المعبد الروماني فهرعنا اليه يتنازعنا عاملا الخوف والرجاء واجتزنا في كوخ لعجوز استغربت مرورنا في دارها حتى بلغنا الغار. فاذا بداخلهِ الثلاثة مزدانة بكتاباتٍ مصريَّة قديمة ولها رواق يظلّلها. والمداخل متسعة تفصلها سوارٍ مثمَّنة الزوايا. امَّا الكهف فبالغ الاتساع طولهُ نحو ٢٥ مترًا في عرض ١٠ امتار وعلوّ ٦ امتار. والردهة الوسطى منهُ تُقسم الى ثلاثة اقسام اولها رواق طولهُ خمسة امتار ثم حُجرتان طول كل واحدة منهما عشرة امتار. والرواق منفصل عن الحُجرة الوسطى بسوارٍ ضخمة. امَّا الحجرتان فبينهما حائط من الصخرة والرواق اعلى من الحُجرتين بنحو متر ونصف. وسقف الغار سويّ عليهِ نقوشٌ بتقاطيع هندسيَّة تشبه اجمل ما وجدنا من ذلك في هياكل المصريين الاقدمين. غير ان سقف هذا المكان مسودٌّ بالسناج. وقد ميَّزنا بين نقوشهِ عددًا وافرًا من النجوم الزرقاء الخمسة الاطراف (١). وفي الردهة الكبرى في نصف قسمها الشمالي

---

١) راجع خواصّ هذا النجم ومعناهُ في كتاب وصف مصر Jomard : *Description de l'Egypte*, VII, 419.

معبد قديم بُني بالحجارة وهذا المعبد متّجه الى الشرق على مثال المعابد القبطيّة القديمة. وهو المعبد الذي دعاهُ اهل القرية بالمعبد الروماني

وسألنا هؤلاء القرويين أبلغ سمعهم اسم الانبا يوحنا وهل يعرفون لهُ اثرًا في هذا المكان فكان جوابهم انكاريًا. وغاية ما يعلمون من امر هذا المقام وأغواره ومعبده انهُ محلٌّ مقدَّس اكرمهُ اجدادهم وعظَّموهُ الى عهدهم

على انَّ جهل هؤلاء القوم لم يُلقِنا في الريب عن صحَّة ما اكتشفنا لاننا وجدنا انَّ هذا الغار اشبه شيء بما وصفهُ بلاديوس حيث قال عن منزل القديس يوحنا انهُ يتركَّب من رواق وحجرتين. وذلك يوافق تامًّا ما نراهُ هنا. وكذلك اخبر بلاديوس ان رجل الله كان ابتنى حائطًا يفصل الرواق عن مَنسكهِ الداخلي. وكان لا يفتح نافذة هذا الحائط لزواره الَّا يومي السبت والاحد. وآثار الحائط المذكور باقية حتى الآن. امَّا السواري التي عند المدخل فنرى عليها صلبان منقوشة غير متقنة النقش رسم صورتها الزوَّار الاقدمون

امَّا قول القرويين انَّ المعبد الذي في داخل الغار يُعرف بالمعبد الروماني فترجح انهُ دُعي بذلك لكثرة ما كان يتردَّد على الانبا يوحنا من اعيان الرومان ليتبرَّكوا بادعيته ويطلبوا مشورتهُ. وممَّا اشتهر بهِ الانبا يوحنا روح النبوة فانهُ كان يخبر الولاة الرومانيين بما يتهدَّد الدولة من الاخطار. وروى القديس اوغسطينوس (في كتابهِ عن الموتى ف ١٧) والسنكسار الروماني (في تاريخ ٢٧ اذار) انهُ سبق وبشَّر تاودوسيوس الكبير بانتصارهِ على مكسيم واوجان الطاغيتين

واخبر بلاديوس انهُ لمَّا زار القديس وجد عندهُ الوالي الروماني ألبيبوس فاضطرَّ الى ان ينتظر زمنًا طويلًا قبل ان ينتهيا من حديثهما فضجر بلاديوس لذلك وامتعض في باطنهِ فعرف يوحنا خفيَّ افكارهِ فارسل اليهِ ترجمانهُ تاودورس يقول لهُ: «ما لك تتبرَّم ضجرًا ألا تعلم قول الرب انَّ السقماء هم المحتاجون الى طبيب لا الاصحاء؟ هذا رجلٌ اتى اليَّ وهو في غاية الحاجة الى نصائحي وليس لهُ سوى وقت قصير ليتفكَّر في امر خلاصهِ. امَّا انت فانك طول دهرك لا تفتكر بغير الخلاص»

وبعد ان فحصنا هذا الغار وتفقدنا كل زواياه خرجنا وقلبنا طافح بالفرح لما وجدنا هنا من آثار احد مشاهير اولياء الله. ولمَّا عدنا الى الضيعة حلَّق حولنا اهلها فرحين وكانوا

يريدون ان يدخلوا في منازلهم التي اكثرها مدافن قديمة اصلحوها لسكناهم. ومن غريب ما شاهدنا ان صخور هذه القرية وجدران منازلها كلها مغطّاة بطين لزج سمكهُ قدمٌ ونصف كلهُ مركّب من اوكار الزنابير فهذا الملاط الاسود يكدّر منظر الضيعة ويجعل بينها وبين بياض الجبل تبايناً عظيماً. ولعلّ كثرة الزنابير التي في انحاء الصعيد هي التي حملت قدماء المصريين الى ان يتخذوا النحلة او الزنبور كشعار لمصر العليا كما انهم اختاروا البردي للدلالة على مصر السفلى

وبعد هذه الزيارة أقرأنا الوداع اهل دير رينة بعد ان فرّقنا عليهم صلباناً صغيرة سُرّوا بها سرورهم بانفس الهدايا ولم يطالبنا احد منهم بالبخشيش كما هي العادة في هذه البلاد

٣

وكان اهل دير رينة اعلمونا انَّ على مسافة ساعة من قريتهم من جهة الجنوب عند الطرف السهل ديرًا آخر. فنوينا زيارتهُ لرغبتنا في الآثار النصرانيَّة

واحبَّ رجلٌ من دير رينة ان يرافقنا ليدلَّنا على الدير المذكور. ففي اثناء مسيرنا ارانا نقدًا من النقود التي لا يزال اهل البادية والسودان والحبش يستعملونها حتى يومنا ويؤثرونها على سواها. وهذا النقد على اسم مريم تريزا ملكة النمسا وهو التلاري (Talari) وثمنهُ كالمجيدي. وكنت منذ زمن طويل اطلب نقدًا من هذا الصنف فسرَّني وجودهُ وابتعتهُ بثمن خمسة فرنكات بنيف عن ثمنهِ المعهود. وهذا النقد يمثّل في احد وجهيهِ صورة العذراء مريم حاملةً فوق ذراعيها طفلها الالهي وهو يمسك بيدهِ كرة العالم وفي يد البتول اليمنى صولجان الملك وفي دائرة النقد قد كُتب ما تعريبهُ: «مريم ام الله شفيعة هنغاريا سنة ١٧٥٢». امَّا الوجه الآخر ففيهِ صورة مريم تريزا الملكة. وهذا التلاري يُضرب حتى عهدنا هذا في مصر وبلاد أُخرى لمعاملة الأعراب واهل السودان والحبشيين



الريال المستعمل في السودان

وما عتمنا بعد ساعة ان وصلنا الى الدير الذي دُلّلنا عليهِ على طرف المزارع في الرمل. ولهذا الدير سور مرتفع مربَّع الشكل مكمد اللون لا يعلوهُ من الملاط الاسود الموصوف آنفاً. وليس لهُ سوى باب ضيق يُدخل منهُ الى داخلهِ. فما طرقنا هذا الباب حتى اسرع اهلهُ وفتحوهُ واستقبلونا بكل لطفٍ وانس. واسم هـذا الدير حاليًّا دير الزاوية وليس فيهِ رهبان وانما احتلَّهُ قوم من الأقباط اليعاقبة فجعلوا سكناهم في دارهِ الواسعة وقد ابتنوا لكل عيلةٍ بيتاً ونظَّموا البيوت وفصلوها عن بعضها بالازقّة على شكل القرى العامرة. وكنيستهم هي كنيسة الدير القديمة يجتمعون فيها للصلاة بيد انهُ لا راعي لهم ولذلك سرُّوا بنا ايَّ سرور واخذوا يتوسَّلون الينا لنبقي عندهم كاهناً منَّا يرشدهم في سُبل الفضيلة والدين. حقَّق الله رغبة هذا القطيع المهجور بارسالهِ اليهم كاهناً كاثوليكيًّا يضمُّهم الى حظيرة الرب

وكنيسة هذه القرية غاية في الحسن قضينا منها العجب. وهي كنيسة كبيرة ذات ثلاثة اسواق على مثال الكنائس الغربية لها اعمدة ضخمـة مبنية بالآجرّ الاسود مع خطوط بيض تجمع بينها وفوق الاعمدة قُبب لطيفة. وحنيَّة هذه الكنيسة بديعة النقش لها طنف ناتئ وصفَّان من الكوى مزدانة بعمد صغرى في اعلاها ثلاثة مثلَّثات اشارة الى سرّ الثالوث الاقدس. وكنا لحظنا مثل هذا في الدير الاحمر قرب سوهاج وكنيستهُ من اقدم الكنائس المصريَّة. هـذا وان كرور الاجيال توالى على كنيسة دير الزاوية فطمس قسماً من محاسنها واخرب جانباً من مبانيها. امَّا تاريخ الدير فلم يُفدنا عنهُ احد علماً. وقد دُعي الدير في عهدنا بدير الزاوية لموقع قرية قريبة منهُ تُعرف بالزاوية. واذا لحظنا الكنيسة وهندستها ونقوشها وجدنا انها تُشبه كل الشبه كنيستي الديرين الشهيرَين الدير الاحمر والدير الابيض بجوار سوهاج فتكون من عهدهما. وما لا ريب فيهِ انها سبقت تاريخ الهجرة

ولمَّا انتهينا من سياحتنا هذه راجعنا ما رواهُ مشاهير كتبة العرب في اديرة النصارى القديمة لعلنا نجد ذكر الاديرة الثـلاثة التي زرناها. فتصفَّحنا خطط المقريزي وتاريخ الشيخ ابي صالح الارمني وكتاب الانتصار لواسطة عقد الامصار لابن دقماق فلم نجد في هذه التآليف ما يشفي الغليـل. ولا غرو فان العرب لمَّا فتحوا بلاد مصر استنكفوا من اسمائها الاعجميَّة التي لا توافق لغتهم فابدلوها بما هو اقرب للسانهم

ومما يفيدنا ابو صالح الارمني (ص ١١٤) انَّ على مقربة من اسيوط ديرًا اسمهُ «ابو يحنس ويعرف بابشاي» . فاسم يحنس كيوحنَّا ولا يبعد انهُ أراد بهِ دير ريفة الذي وجدنا فيهِ محبسة الانبا يوحنَّا المصري . وذكر المؤلف نفسهُ ديرًا آخر بجوار اسيوط دعاهُ دير «بابسويا» قال ان موقعهُ بين ريفة وبين قرية اخرى سقط اسمها من نسخة كتابهِ . وعلى ظنّنا ان هذا الدير هو دير الزاوية الذي تفقّدناهُ . وكذلك كتب ابو صالح عن دير آخر قرب اسيوط ما نصُّهُ : «دير على اسم السيدة العذراء الطاهرة مرتمريم ويُعرف بدير ابو (كذا) الحارث» . فترى انَّ الدير المذكور هو دير ادرنكا الحالي وقد قلنا ان بقربهِ كنيسة على اسم العذراء الطاهرة

هذا ما حصلنا عليهِ من امر هذه الاديرة . ونتمنى ان العلماء يواصلون البحث في جهات اسيوط عن الآثار المسيحية وهي كثيرة في تلك الجهات . وكفانا شاهدًا على ذلك انَّ ياقوت الحموي روى في معجم البلدان (١ : ٢٧٢) عن بعض اهل اسيوط في زمانهِ انَّ في هذه المدينة وحدها ٧٥ كنيسة للنصارى

ابو العلاء المعرّي

للشيخ الفاضل اللغوي سعيد افندي الشرتوني

قد كان هذا الشاعر الفيلسوف القادم الدنيا في القرن الرابع للهجرة الراحل عنها في القرن الخامس (١ المضروب بهِ المثل في قوة الحافظة كفيف النظر ملازمًا منزلهُ مكتفيًا همَّ الارتزاق مولعًا بالادب يطيل النظر في الاديان وأصولها واغراضها واحوال القائمين عليها وسير رؤسائها فيتولّاهُ الشك او الكفر تارةً ويراجعهُ اليقين أخرى فتصدر عنهُ في كل حال من حاليهِ ابيات تمثّلهُ شاكًّا او كافرًا وأخرى تمثّلهُ مؤمنًا . غير ان الناس اقتصروا من شعرهِ في الدين على ما ينبئ عن مروقهِ او كفرهِ كابيات رواها ابو الفداء الحموي في تاريخهِ (٢ وقضى عليهِ بالكفر بسببها ولم اسمع من احد في

١) كانت ولادة ابي العلاء سنة ٣٦٣ هـ (٩٧٤م) وتوفي سنة ٤٤٩ (١٠٥٧)

٢) راجع تاريخهُ المطبوع في الاستانة (الجزء الثاني ص١٨٥)

هذه الاطراف من المشغوفين بحفظ الشعر بيتاً لهُ يدلّ على تديّنهِ وتُقاهُ مع انهُ من الزهد والادب بالمكان المكين. ولمّا تصفّحت لزومهُ منذ ثلاثة أعوام عثرت لهُ على ابيات كثيرة تنطق بانهُ كان مؤمناً حين نظمها وقد نقلت جملةً منها احببتُ ان يذرّ على القرّاء من ناحية المشرق وهي هذه:

يجبي الطبيب بأحمد في الخا   لق من بعد درسهِ التشريحا
ولقد علم المنجّمُ ما يو   جب الدين ان يكون صريحا
ربّ روحٍ كطائر القفص المسـجون ترجو بموتها التسريحا

وقوله: لا ريب ان الله حقٌّ فانشدُ   بالقوم انفسكم على ربابها
هلّا تتوب من الذنوب خواطئٌ   قبل اعتراض الموت دون متابها

وقولهُ: اذا وفت لتجار الهند فائدةٌ   فاجمل مع الله في دنياك متَّجَرا

وقولهُ: فلا تنسَوُا الله الذي لو هُديتمُ   الى رشدكم ما زال منكم على ذكرِ

وقولهُ: ازول وليس في الخلّاق شكٌّ   فلا تبكوا عليَّ ولا تبكّوا

وقولهُ: اما المجاور فارعَهُ وتوقَّهُ   واستعفِ ربّك من جوار الملحدِ
ليس الذي جحد المليك وقد بدت   آياتهُ بأخٍ لمن لم يجحَدِ
اركع لربك في نهارك واسجدِ   واذا اطقت تهجُّداً فتهجّدِ

وقولهُ: محمودنا الله والمسعود خائفهُ   فعدِّ عن ذكر محمودٍ ومسعودِ

وقولهُ: تعالى الله كم ملكٍ مهيبٍ   تبدّل بعد قصرٍ ضيقَ لحدِ
اقرُّ بانّ لي ربّاً قديراً   ولا القى بدائعهُ بجحدِ

وقولهُ: والعفوَ آملُ من ربّي اذا حضَرتْ   نفسي وفارقتُ عوّادي لاعوادي

وقولهُ: مولاك مولاك الذي ما لهُ   ندٌّ وخاب الكافرُ الجاحدُ
آمِنْ بهِ والنفس ترقى وان   لم يبقَ الّا نفسٌ واحدُ
ترجُ بذاك العفوَ منهُ اذا   أُلحدتَ ثم انصرف اللاحدُ

وقولهُ: فلا يُضعِ الله الساعيَ في التقى   فمن يسعَ فيها لا يخف غبنَ الغمرِ

وقولهُ: اخو الدين من عادى القبيح واصبحت   لهُ حجزةٌ من عفّةٍ وازارُ

وقولهُ: خالقٌ لا يُشكّ فيهِ قديمٌ   وزمانٌ على الانام تقادمْ

وقولهُ: ومغفرةُ الله مرجوّةٌ   اذا حُبست اعظمي في الرِّممْ
فيا ليتني هامدٌ لا اقومُ   اذا نهضوا ينفضون اللمَمْ
وجاءت صحائفُ قد ضمّنت   كبائرَ آثامهم واللّممْ
اذا مدحوا آدمياً مدحـ   ـتُ مولى الموالي وربّ الامم
لهُ سجد الشامخ المشمخرُّ   على ما بعرنينهِ من شمَمْ

وقولهُ: تحلَّ بتقوى او تحلَّ بعفّةٍ   فذلك خيرٌ من سوارٍ وخلخالِ

وقولهُ: ان تثوِ في دار الجنان فانما   فارقتَ من دنياك ناراً تحتدمْ

هذا ولا يقدح في ايمانهِ ما جاء لهُ من الطعن في بعض الوعّاظ من اهل عصرهِ لما كان يرى فيهم من الحرص على الدنيا والكلَف بجمع حطامها وذلك كقولهِ :

طلب الحسائس وارتقى في منبرٍ   يصفُ الحساب لامةٍ ليهولها
ويكون غير مُصدّقٍ بقيامةٍ   امسى يمثّل في النفوس ذهولها

فلا يلزم عن الرمي بالزندقة ان يكون الرامي زنديقًا كما لا يخفى

تبرئة ابي العلاء من وصمة الكفر الشنعاء

ملحق للنبذة السابقة بقلم الاب لويس شيخو اليسوعي

اننا نشكر جناب الشيخ الفاضل واللغوي الشهير سعيد افندي الشرتوني على ما جمعهُ في نبذتهِ من الشواهد الناطقة بتديُّن ابي العلاء المعري بيد اننا كنَّا وددنا لو حاول الكاتب النحرير ان يحلَّ مشكلًا صعبًا وهو ان يبيّن كيف امكن رجلًا من مقام ابي العلاء المعري ان يتردَّد بين الكفر والدين ويتلوَّن كأبي براقش يومًا بلون الحق ويومًا بزيّ الباطل

ولا نشك ان جناب الشيخ لو تصدَّى لهذا البحث لأبان الرغوة عن الصريح. وان يسمح لنا نعمل النظر في هذا الامر فنقول:

اننا لا ننكر انَّ في ديوان ابي العلاء المعرّي المعروف بلزوم ما لا يلزم ابياتًا اذا سمعها السامع أفتى لاوَّل وهلةٍ انَّ قائلها زنديقٌ لا يعبأ بالدين. بيد انَّ في هذا الديوان نفسهِ ابياتًا غيرها فيها تلوح شعائر الدين كالشمس في رائعة النهار منها ما اوردهُ جناب الشيخ سعيد آنفًا وغيرها كثير لا يسعنا ذكرها لضيق المجال. أفيكفي القول لشرح هذا التضادّ انَّ المعري تردّد بين الصدق والكذب وبين الباطل واليقين

لا لعمري فان هـذا التضادّ لا يطابق ما كتبهُ عن المعرّي اهل زمانهِ من زهدهِ في الدنيا وورعهِ وتقاهُ وصبرهِ على العمى حتى انهُ كان يقول (انيس الجليس ١ : ٢٧١) : « انا احمد الله على العمى كما يحمدهُ غيري على البصر ». فمن يقول انَّ زنديقًا ينطق بمثل هذا القول المنبئ بصبرٍ جميل على اعظم محن الدهر

وزد على ذلك انَّ ابن خلكان وغيره من المؤرخين ذكروا ان العلماء والوزراء واهل الاقتدار فضلًا عن الطلبة كانوا يفتخرون بصداقته ويكاتبونهُ ويسيرون اليه من الآفاق ليسمعوهُ ويأخذوا عنهُ فهل يمكن القول انَّ مثل هؤلاء استطاعوا ان يخالطوا رجلًا ملحدًا كافرًا ؟ وكذلك اخبر الحافظ السلفي انهُ لما توفي المعرّي رثاهُ نحو مائة وثمانين شاعرًا منهم فقهاء ومنهم محدّثون ومنهم صوفية وقد ترجم الحافظ باسمائهم فكيف اتفق مثل هؤلاء ارباب الدين ان يمدحوا زنديقًا مأبونًا في دينهِ . فبقي علينا ان نطلب وجهًا للدفاع عن شرف المعري فنقول مستندين في قولنا الى اصدق الادلَّة :

١° انهُ لمكن انَّ المعري قال في شبابهِ بعض الابيات المؤذنة بفساد المُعتقد رواها عنهُ بعض اصحابه الَّا انهُ تاب عنها بعدئذٍ وصرَّح عن اعتصامهِ بالدين . وهذا وجه حسن لحلّ هذه الأزبة ويدفع عن المعرّي معرَّة الكفر . وقد قيل انَّ التوبة تكفِّر عن الحَوْبة

وليس رأينا هذا محض اختلاق بل رواهُ ابن الوردي في تاريخهِ (١ : ٣٦٠) نقلًا عن كتاب دفع المعرَّة عن شيخ المعرَّة حيث قال انهُ وجد المعرّيَّ في ديوان لزوم ما لا يلزم مذبذبًا حائرًا في الدين لكنَّ الكتب التي الَّفها بعد ذلك خصوصًا ضوء السقط تصلح هذا الفساد وتوضح رجوعهُ الى الحقّ وصحّة اعتقاده . وضوء السقط خاتمة كتبهِ والاعمالُ بخواتيها

٢° انَّ اقوالًا كثيرة نُسبت الى المعرّي وهو بريء منها . فكان اعداؤُهُ وحسَدَتهُ ينظمون ابياتًا كفريَّة فيشيعونها على اسمهِ ليبخسوا قدره . قال صاحب ترجمة المعري في صدر ديوانهِ لزوم ما لا يلزم (الطبعة الهنديَّة) : « لعلَّ ابا العلاء كان في زمان مثل زماننا هذا يعني كل امرئٍ انكر المُنكَر فيرمونهُ بسوء الاعتقاد ليغروا بهِ الملوك كما قال الامام ابن حزم : « انا طريد الملوك لاني اقول الحق ولا أُبالي » . وقال صاحب انيس الجليس (١ : ٢٧٩) : انَّ تلامذتهُ وغيرهم كانوا يعملون على لسانهِ الاشعار ويضمّنونها أقاويل الملاحدة قصدًا لاتلاف نفسهِ . ويشهد على هذا قولهُ :

حاول إهوانيَ قومٌ فما واجهتُهم الَّا بإهوانِ
وقوَّلوني بمقالاتهم فنبَّروا نيَّة اخواني
لو استطاعوا لوَشَوا بي الى المرّيخ في الشهب وكيوان

وكان يقول ايضا (ابن الوردي ١ : ٣٦٠) : « انا شيخ مكذوب عليه » . فان صحَّ

هذا القول فلا غرو ان نجد في شعره أقوالًا تؤذن بفساد عقيدته وقد دسُّوها في كتبه ظلمًا . لكن الانسان ليس بمسؤول الّا عن اعمال يديه

٣ قد راجعنا كثيرًا من الابيات التي استند اليها الرواة ليرموا ابا العلاء المعريّ بالزندقة والكفر فوجدنا لشرحها وجهًا صوابيًا ليس فيها من الالحاد ما زعم هؤلاء. كقوله :

التفس عند فراقها جثمانها محزونة لدروس ربع عامر
كحمامة صيدت فتُذّت جيدها اسفًا لتنظر حال وكرٍ داسر

فزعموا انَّ هذا القول ينفي البعث ومن تأمّلهُ بعين الصواب لا يجد فيهِ شيئًا من ذلك . فان تشبيههُ للجسم بعد الموت بالوكر الدامر لا ينفي اعتقادهُ بالبعث يوم القيامة ولهُ ابيات كهذه ظاهرها الانكار ومن نقدها يجد انَّ المعري لا يجحد البعث نفسهُ وانما ينكر شيئًا من أحوال المبعوثين

وكذلك لم يستحسنوا للمعرّي قولهُ عن المنجمين :

يُنجّمون وما يدرون لو سُئلوا عن البعوضة أنّى منهمُ تَقِفُ

وقولهُ : سلطانك النار ان تَعدلْ فنافعةٌ وان تَجُرْ فانها ضيرٌ واحراقُ

وقولهُ عن قضاء الله :

قضى الله فينا بالذي هو كائن فتمَّ وضلَّت حكمة الحكماء
وهل يأبق الانسان من ملك ربهِ فيخرج من ارضٍ له وسماء

ولكل هذه الابيات معانٍ صحيحة لا تخفى على البصير . قال كمال الدين ابن العديم في رسالته المسماة دفع التجري على المعرّي ذكر فيها محاسن هذا الشاعر وفضائلهُ وقال فيها : « انَّ سائر ما في ديوانهِ من الاشعار الموهومة فهي امَّا مكذوبة عليهِ او هي موؤَّلة كما اوَّلوا كلام محيي الدين ابن العربي وغيرهِ من الصوفيَّة »

٤ وممَّا يبرّئ ابا العلاء من وصمة الكفر ان لهُ اقوالًا كثيرة يهجو بها المرائين ومن يتخذ الدين كوسيلة لغايات شخصيَّة لا لوجه الله وكذلك تراهُ يندّد بخرافات دخلت في بعض الاديان وهي من الدين مناط الثريَّا . كقوله :

رأيتُ جماعات من الناس أولعت بآيات اشياء استحال ثبوتُها

وقولهِ : اذا رام كيدًا بالصلاة مقيمُها فتاركها عمدًا الى الله أقربُ

وقولهِ : افيقوا افيقوا يا غواة فانما دياناتكم مكرٌ من القدماء
أرادوا بها جمع الحطام فادركوا وبادوا وماتت سنَّة اللؤماء

فبقوله « غواة » خصّص اهل الديانات الباطلة . ومن ذلك ابيات رواها ابو الفداء اولها :

عجبتُ لكسرى وأشياعهِ وغسل الوجوه ببول البقرْ ...

ومنها ايضًا قولهُ عن الاحاديث الضعيفة التي لم يروِها الائمة :

جاءت أحاديث ان صحّت فانَّ لها شأنًا ولكنَّ فيها ضعفُ إسنادِ
فشاوِر العقلَ واترك غيرهُ هدرًا فالعقل خير مشيرٍ ضمَّهُ النادي

فترى من هذه الأقاويل ان ابا العلاء لا يطعن في الاديان بل يردُّ ما يجد فيها مضادًا للعقل السليم (١ او ما كان مخالفًا لمبادئ الدين الحق

ومن عجيب الامور ان اخصام المعري نسبوهُ الى الالحاد لانهُ امتنع ٤٥ سنة عن اكل اللحم وقالوا انهُ تذهب بمذهب الهنود الذين يحرّمون ايلام الحيوان. واستندوا في هذه الشكاية الى بعض اقوالهِ المبهمة . وقد ردَّ عليهم تلميذهُ ابو الحسن علي بن همام لمَّا رثاهُ بقولهِ :

ان كنتَ لم تُرِقِ الدماء زهادةً فلقد أرقتَ اليوم من جفني دما

ولو تمّن هؤلاء المنتقدون لوجدوا في هذا البيت تفنيدًا لما زعموا لانهُ بقولهِ « لم تُرِقِ الدماء زهادةً » بيّن انهُ امتنع عن أكل اللحم زهدًا بلذاذ الدنيا والشهوة الحلال

وكذلك زعموا انهُ لم يحلّل الزواج الشرعي بقولهِ :

على الوُلد يجني والدٌ ولو أنهم ولاةٌ على امصارهم خطباء

ومثلهُ قولهُ وكان اوصى ان يُكتب على قبرهِ :

هذا جناهُ ابي عليّ وما جنيتُ على احدِ

غير ان مثل هذه الاقوال تدخل في باب العتاب على الدهر وآفاتهِ وليست هي مذهبًا كفريًا . وقد جاء مثل ذلك في كثير من الشعراء . وفي سفر ايوب البار لمَّا لعن يوم ميلادهِ وتمنى لو لم يكن بُشِّر ابوه بولادتهِ

هذه وجوهٌ اربعة نعرضها على الادباء ليبرّئوا بها ساحة ذاك الشاعر الفلق من معرّة

---

١) ولعلَّ ابا العلاء توهم الخطأ في بعض الديانات فردَّ على ما لم يدرك صحّتهُ . من ذلك ما كتبهُ عن عقائد النصارى (راجع انيس الجليس ١ : ٢٨٢) وقد فنّد قولهُ المطران جرمانوس فرحات وغيرهُ

الزندقة فعساها ان تحوز لديهم قبولًا ليفحموا بهـا ماحدي زماننا اذا ما حاولوا والتجأوا الى اقاويل ابي العلاء رجاء ان يؤيدوا بها كفرهم. صان الله شرقنا العزيز من هذا الوباء وعواقبهِ الوخيمة

ما ورثهُ اهل العراق

عن الاشوريين والكلدانيين العتـاق

بقلم حضرة الدكتور نابليون ماريني (تتمَّة)

الزيّ

اذا تفرسنا اليوم في واحد من سكَّان العراق وانعمنا النظر في زيهِ لرأيناهُ مركَّبًا من ثلاث قطع وهي: قميص وقبـاء (وبلسان العراقيين «زبون») وعباءة. فالقميص يُتَّخذ من الخام البسيط الابيض اللون او الازرق يتزل الى ما تحت الركب بقليل. والقباء هو من القطن المغزول او من الصوف يتزل الى ما تحت القميص. والعباءة كلها من الصوف الخالص او من وَبَر الابل تغطي القباء كلهُ. وعلى رأسهِ العرقچين (اي العرقيَّة) وعلى هذا العرقچين ملفوف اليشماغ (كوفيـة من القطن الابيض المغزول يتخلَّلها نقط منسوجة من قطن ازرق اللون او احمره) على هيئة العمامة. والبعض يستعمل الطربوش عوضًا عن العرقچين والعقالَ عوضًا عن العمامة

امَّا الاغنياء والمتوسطو الحال فيزيدون قطعة رابعة على ما سبق ذكرهُ وهي اللباس (او السراويل) الذي يغطي عورة الانسان ويلبسون القباء المنسوج بالحرير او بالكتَّان والعبـاءة من وبر الابل تزيّن نصفها الاعلى نقوش ذهبيَّة او تطريز بالقصب الحلبي ويتَّخذها البعض من الجوخ الفـاخر او من الحرير الصِّيني النادر الوجود وهو ما يسمونهُ «بالجيناوي»

ويلبس اغلب العراقيـين في ارجلهم ما يسمونهُ «باليَمَني» وهو حذاء خفيف الحَمْل لا كعب لهُ ولا سيود. نعلهُ من جلد الجاموس او من جلد البعير والبقيَّـة من جلد الماعز او الغنم المصبوغ بالاحمر او بالاصفر او بالاسود. والمتوسطو الحال من اهل البادية

يلبسون «الجدك» وهي جزمة طويلة الرقبة تصل الى ما تحت الركبة بقليل لها كعب خفيف ولها سيور ونعلها من جلد البقر او الجاموس والبقيَّة من جلد الماعز او الغنم ولونها امَّا الاحمر او الاصفر وفي اعلى رقبتها معلَّقة شرَّابة من القطن او من القصب. والنساء منهم يلبسنَ بابوجاً اصفر فوق الجزمة

وجميع العراقيين قاطبةً يرخون اللحية والشارب الَّا انَّ الحضر يجزُّون شعر الرأس بخلاف اهل البادية الذين يجدلونهُ جدلاتٍ رفيعة عديدة متساوية العدد مسترسلًا على الرقبة والاكتاف. ومنهم من يضع القرط في الآذان ومنهم من يحلّي جفون الصبي بالكحل وخصوصاً النساء. فالكحل عندهنَّ من لوازم الزينة. وكذا الوَشم فانهنَّ يشمنَ الوجه والايادي والرجل. ويندر في العراق وجود من لا يَشِم جلدهُ وعلى الخصوص من لا يَشِم ذراعيهِ لان ذلك عندهم من ضروب كمال الرجوليَّة. ومن هذه الكماليات ايضاً حمل الخاتم سواء في اليد او في الجيب وسواء يعرف حاملهُ القراءة او يجهلها اذ لا مندوحة عنهُ لتوقيع السندات والرسالات والاوراق الخ. وكل من يكون عاطلًا منهُ يُلقَّب بالجاهل وبناقص العقل ويُؤنَّب بعدم معرفة اصول التمدن

وولدان المدن والبادية من ذكر وانثى يلبسون الدمالج والمعاصم من الذهب او الفضة او الزجاج او الكهرباء ويتخلخلون بخلخال من الذهب او الفضة وكذا النساء قاطبةً من اسلام ونصارى ويهود يلبسنَ الخلخال او الحِجال في الرجل ولا يتزعنهُ ظناً منهنَّ انهُ من علامات حسن الحظ وبحبوحة العيش والرفاهيَّة. ويتقلَّدنَ حول الرقبة الطوق من الذهب او من اللؤلؤ او من المرجان او من الكهرباء او من الحجارة الكريمة واغلب المسلمات يجعلنَ البُرَة في الانف وكثيرًا ما يقع نظرك على صبيان لابسين الطوق والبرَة في الانف

امَّا زي النساء فلا يختلف عن زي الرجال الَّا بقليل فانهنَّ يلبسنَ القميص والدراعة والعباءة السوداء اللون مع السراويل او يلبسنَ الداريَّة والفسطان عوضاً عن الدرَّاعة. امَّا نساء البادية قاطبةً مع طائفة من الحضريَّات فلا يلبسنَ السراويل بل يكتفينَ بالدارية الزرقاء اللون والعباءة من الصوف ويغطينَ الرأس بالصدار وهو شيء من النسيج اسود اللون لحمتهُ الصوف او القطن طويل الاطراف ينزل الى الظهر من وراء والى القسم

الاعلى من الصدر والاكتاف بحيث انهُ يغطي كل الرقبة والذقن والجبهة وهذا الغطاء غير معروف عند اليهوديات ولا عند المسيحيات

فاذا امعنَّا النظر في زي الاشوريين والبابليين في سابق الزمان لرأيناهُ يطابق كل المطابقة زي العراق الحاضر يشهد على ذلك هيرودوتس وصور العاديَّات الاسطوانية الشكل التي يُرى عليها ان لبسهم كان يتركَّب من ثلاث قطع ايضًا: قميص من كتان يتزل الى الرجل عليهِ قباء من صوف وفوق هذا توضع العباءة البيضاء (١

والمسيو لنورمان يخبرنا عن ان غطاء الرأس كان امَّا رباطًا بسيطًا يربطون به شعرهم الطويل. وامَّا عمامة من صوف يلفُّونها لفَّات حول الرأس (٢

وفي متحف العاديات البريطاني قطع تمثّل موسيقيًا يدق بالصنوج على رأسهِ عمامة. وفي متحف لوڤر الفرنسي قطعة ثانية تمثّل شخصًا معتمًا وجدها المسيو دي سارزق في الخربة تلُّو (Tell-loh) قُبيل البصرة. والمسيو لَيَرْد يفيدنا عن ان الاسرى في زمان البابليين والاشوريين كانوا يلبسون في ارجلهم الجزمة او البيتيَّة والنساء كنَّ يتركنَ الرأس بلا غطاء ويسدلنَ الشعر على الاكتاف او يسترنَهُ بغطاء طويل ينزل الى الظهر (٣

وفي المتحف البريطاني قطع عديدة تمثّل اسرى لابسين الجزمة في الرجل والرأس مكشوف او مغطى بعرقيَّة لها آذان تنزل على الاصداغ او على آذان الرأس. وكان الاشوريين والبابليون من نساء ورجال ومن صغار وكبار ومن فقير وامير يلبسون القرط في الآذان والاسورة في الايدي وكانت المادة تختلف باختلاف طبقاتهم اعني بذلك ان القرط او الاساور تكون امَّا من ذهب وامَّا من فضة وامَّا من حجارة كريمة او من نحاس الخ نظرًا لحال الانسان وغناهُ. ويستنتج من ذلك ان فنَّ الصياغة كان موجودًا عند القدماء لا بل وكانوا من البارعين فيهِ ايَّ براعة اذ لم تزل بقاياهُ محفوظة الى يومنا هذا عند الصُّبَّة (الصابئة) وهم قوم يتعيشون اليوم فقط من هذه الصناعة

وفي المتحف البريطاني تمثال الملك شمسي رمان الثالث (Samsi-Raman III) وفي

١) Hérodote : l. I, 1. 1861

٢) Lenormant : *Hist. Anc. des peuples de l'Orient*, T. IV, p. 128

٣) Layard : *Monuments*, 2e série p. 10, 11, 12, 15, 38, 49

رنديه الاساور وصورة الملك سنحاريب بثيابه الرسمية جالساً على عرشهِ ولابساً الاساور والقرط وقد وُجدت في اخربة برج نمرود. ومثل ذلك تمثال الملك نازربال (Nazirpal) وصورة الملك سرجون التي وجدت في اخربة خُرساباد ولا حاجة الى سرد التماثيل والصور كلها اذ المقام يضيق دون ذلك

هذا وفرنسوا لنورمان يخبرنا عن ان الاشوريين والبابليين كسائر الشرقيين في عصرنا هذا يعتنون كل الاعتناء باللحية وبشعر الرأس. فانهم كانوا يتركونهما ينبتان حتى يبلغا اقصى الطول ثم يجدلونهما جدلات عديدة دقيقة غريبة الشكل فكان الواحد منهم يحب ان يترك رأسهُ مكشوفاً وبلا عمّة ولا يصرف النظر عن جدل لحيتهِ وشعر رأسهِ. وبعض الصور الناتئة الملوَّنة تحقق للباحث على انهم كانوا يصبغون جفونهم بالكحل الاسود حسب ما هو جار اليوم عند عموم الشرقيين (١

ومن المؤلفين في هذا الشأن من ينقل لنا ان اولئك البابليين لم يكونوا يجدلون شعر لحيتهم وشعر رأسهم فقط بل كانوا ايضاً ينظمونهُ لؤلؤا او حلقات من ذهب او كانوا يعلّقون باطرافهِ سلاسل رفيعة من ذهب او من فضة او قطعاً مدوَّرة الشكل منظومة بخيط الواحدة فوق الاخرى حتى يتألف منها عقدٌ طويل. وهذا النوع من الزينة موجود حتى يومنا في عراقنا بين الجنس اللطيف وهو ما يسمونهُ بالقراميل. فاذا مررت في الطريق او دخلت كنيسة سمعت صوت القراميل تطنُّ بالآذان يرادفها او يرافقها صوت الخلخال

. اما الطوق فكان عند القدماء من افخر الملابس واكبر إنعام يمنحهُ الملك للناس وعلامة الجاه والابهة والاقتدار وكان يتقلدهُ الوجهاء واكابر الدولة كالوزراء والقوّاد والحكّام وخصوصاً الملوك والملكات. وكان اذا أراد الملك مثلاً ترفيع شخص الى أوج الشرف امر بان يقلّد طوق الذهب الذي لا يعلوه شيء من الاحسان ولا تسبقهُ رتبة في الامتنان وان يُطاف بهِ في المدينة على مرأى من الشعب كلهِ

وفي كتاب فرنسوا لنورمان إلمام الى الطوق اذ يقول: «.. واغلب الاوقات يلبس الملك اساور في ايديهِ وطوقاً في رقبتهِ...» (٢

---

١) Lenormant : *Hist. Anc. des peuples de l'Orient*, T. V p. 128

٢) Lenormant : *Hist. Anc. des peuples de l'Orient*, T. V p. 128

قال الكتاب المقدس: « وصنع بلشاصر الملك (بن نبوخذنصّر) وليمة عظيمة لألفٍ من عظمائهِ . . . وصرخ الملك بصوتٍ شديد ان يدخلوا المجوس والكلدانيين او المنجمين وأجاب الملك وقال لحكماء بابل: كل من يقرأ هذه الكتابة ويبين تفسيرها يلبس الارجوان ويتقلد طوق ذهب في عنقهِ الخ . . . حينئذٍ امر بلشصر فألبس دانيال الارجوان وقُلّد طوقَ الذهب في عنقهِ . . . » (سفر دانيال ٥: ١ و ٧ و ٢٩)

قلنا نُوَيق هذا ان الطوق لم يزل استعمالهُ دارجاً بين العراقيين ويكون على أنواع شتّى امّا من ذهب او من لؤلؤ الخ . ولكن طوق الذهب محصور استعمالهُ اليوم بين النساء اليهوديات فاذا أراد مثلاً وجهاء اليهود تزويج بناتهم احضروا قبل كل شيء طوق الذهب الواجب على العروس حملهُ طول حياتها السعيدة ولا تنزعهُ عنها الّا في اوقات الحزن فقط

ولا يبعد من ان يهود العراق حافظوا على لبس طوق الذهب تذكاراً لدانيال النبي اليهودي لتفسيره رؤيا بلشصر ملك الكلدانيين والكل يعلم ان الملة اليهودية هي الاولى بين سائر الملل التي تحافظ على تقاليدها بحرص لا مزيد عليهِ وكما ان دانيال كان من جملة العبرانيين المسبيين الى بابل على يد نبوخذنصر فلاجل ذلك أبقى يهود العراق هذا الاثر دون سائر يهود العالم الذين لا يستعملونهُ لا بل انّا يجهلون ذكرهُ كل الجهل . وأزيد على ذلك ان بقية العراقيين من اسلام ونصارى وغيرهم اخذوا عن اليهود استعمال الطوق من اللؤلؤ او من الكهرباء الخ كما سبق التفصيل عنهُ

« وكاني بابرهيم الخليل عليه السلام عند سفرهِ من حرّان الى بلاد الكنعانيين بامر الله تعالى كان لابساً عباءة حمراء اللون وعلى رأسهِ عمامة مربوطة برباط من جلد لكي تتمكّن فيهِ وبيدهِ الرمح وكان عبيدهُ يحملون الاحمال والعُروض على ظهور الحمير والابل البارِكة . ويجمعون شمل قطعان الغنم والماعز المتشتتة . ونساؤهُ كنَّ حاملات الاولاد على اظهورهنَّ ولابسات الخلخال في الارجل والاساور في الايدي والاقراط في الآذان والبُرى في الانوف وفي اعناقهنَّ قلائد الكهرباء والخرز والمرجان والحجارة الماسة . وعليهِ فمنذ اربعة آلاف سنة كانت الازياء والمعيشة كما هي اليوم . اي ان زي ومعيشة ابراهيم الخليل ولوط

اخيه ونسائهما كزيّ ومعيشة واحد من مشايخ العرب المائشين اليوم في البادية بدون ادنى تغيير البتّة » اه (١

ومن المكن ايضاً ان العراقيين اخذوا استعمال الطوق عن البابليين انفسهم كما اخذوا عنهم اشياء غيرها. اذ ان اولئك القدماء كانوا يلبسون الطّوق من الحجارة الكريمة كالعقيق والزبرجد او من الخرز او من الحجارة الاسطوانية الشكل واذا ماتوا قبروا معهم تلك القلائد وسائر الامتعة الفاخرة التي كان يتزيّن بها اولائك الاشخاص في ايام حياتهم

وقبل اربع سنوات كان الاب شيل (Scheil) يحفر بامر شاهاني في اخربة قاعدة مملكة الكلدانيين وهي التي تسمى اليوم « ابو حبّة » وبلسان الاشوريين اكَّد فكان يجد في قبور ذلك الجيل مع العظام البالية مدفونًا امّا طوقًا من العقيق او من الكهرباء او من الخرز وامّا قلائد منظومة كلها من الحجارة الكريمة الاسطوانية الشكل وامّا خلاخيل من النحاس او حجالًا من الحديد او النحاس وامّا صينيات نحاسيّة فيها فناجين وكاسات وخواتم من نحاس وامّا خواتم من الحجارة الكريمة كما يفعل ذلك في ايّامنا اغلب العراقيين حتى نصاراهم فانهم يدفنون مع الميت افخر ثيابهِ واثمن حليهِ كالحابس والخواتم وطوق اللؤلؤ والملاءة الخ

الحرب والاساحة

لا غرو ان الاشوريين والبابليين جَيلٌ مفطور على حب السلب والنهب وخصوصاً ميَّال الى الحرب ولا بد منها في كل سنة في الربيع او الخريف والملك الذي لا يحارب لا يُنزّل منزلة ملك عندهم وربّما خلعوه عن كرسيهِ او قتلوهُ كما تؤكد لنا ذلك تواريخهم ولذا ترى كلَّ ملك جديد يتربّع دستَ مملكتهِ باشر للحال حربًا عوانًا ضد اعداء والدهِ او اجدادهِ. ولا يقرّ لهُ قرار حتى يأخذ بثارهِ وامّا يموت في ساحة القتال فداء لشرفهِ وشرف امّتهِ. وهـذه المزية جعلت سائر الامم ترهب ملوك اشور وبابل رهبًا لا مزيد عليهِ واكتسبت لهم ايضًا شرفًا واقتدارًا وسطوة حتى خُيّل لبعض منهم انهم آلهة كما فعل بختنصر الملك وسرجون الاول وغيرهما

ومن فروض الملك ان يرافق جيشهُ الى ساحة الوغى وان يتولى بنفسهِ أوامرهُ لا بل

(١ Lenormant : *Hist. Anc. des peuples de l'Orient*, T. VI. p. 143, 144

اذا اقتضى الحال ان يسبقهُ ويحارب في صفوف امّته كواحدٍ منها. واذا بُلي بمرض او اعترتهُ مصيبة او شغلتهُ حوادث مهمّة تسلَّم مركزهُ المشير الاعظم وهو المسمَّى بلغتهم التُّرْتانو (turtanu) ومعناهُ القائد الكبير وقد جاء ذكرهُ في سفر اشعيا النبي حيث يقول: « في السنة التي وفد فيها ترتان الى أشدود اذ ارسلهُ سرجون ملك اشور الخ » (الفصل العشرون ١:

وقلَّما كان ملوك الاشوريين والبابليين يسلِّمون قيادة الجيش الى الترتان الَّا فيما ندر وذلك حذرًا من الخيانة او الطمع الذي يستولي على عقله ويحدث ما يحدث كما جرى لشلمناصر الخامس لمَّا كان يحاصر مدينة صور وكان الترتان سرجون يقاتل في السامرة فوسوس شيطان الكبرياء في صدره فجاهر بالعصيان واستبدَّ بالملك وراح الى نينوى واستوى على العرش وترك وراءه شلمناصر يحرّق الأُرَّم كدرًا وغمًّا

وزد على ذلك ان كل ملك اشوريًّا كان او بابليًّا لا يتولى قيادة جيشه بذاته يصبح مرذولًا ومكروهًا في اعين رعيّته وتقضي شرائعهم بعزله لا محالة اذ في عقائدهم ان الآلهة هي التي تسلّم المملكة للملك وفي الوقت نفسه تمنحهُ الشجاعة والبطش والجأش. واذا تفرَّستَ في صور ملوك ذلك العصر اخذ منك الرعب كل مأخذ فمنظر عيونهم المحملقة العابسة تحدّثك عن قساوة قلوبهم وانقباض وجوههم يكشف لك عمَّا هو كامن في داخلهم من الشراسة ورباط الجأش وهيئة أنفهم الأقنى الكبير الحجم وشفتهم السفلى العريضة تُنبئانك عن دعارتهم وميلهم الى سفك الدماء. امَّا قوة عضلاتهم فانها لشثونيَّة اذ ترى بضربة هراوة واحدة ان الملك اشوربانيبال هرس نخاع سبع كان قد هجم عليه ليفترسهُ. هذا وتجد اليوم في شيوخ عرب العراق وخصوصًا في امراء اكراده كلَّ ما وصفنا به الملوك القدماء، ويشهد لنا بذلك العلامة مينان في كتابه عن اليزيديَّة حيث يقول: اني لا أشك كل الشك في ان اصل الاكراد يرجع الى الاشوريين لكني لا اشك قط ان طباعهم وعوائدهم تشبههم كل الشبه ولا التباس فيها » اه (١

ولم يوجد على عهد الاشوريين والبابليين في وقت السلم عسكري واحد يقتات من خزينة الملك كما هي العادة اليوم في البلاد المتمدنة بل كانت العادة عندهم ان يتقدم

(١ Joachim Menant, : *les Yezidiz ou les adoralcurs du diable*, 1892 p. 179

الى ساحة القتال كل ذكرٍ بالغ يستطيع حمل السلاح. والسلاح كان من جيب الاشوري الخاص وليس من كيس الملك ولهذا كانت الرعيَّة مستعدَّة للحرب في اي وقت يصدر الامر الملكي كما هو مألوف اليوم عند عرب العراق واكراده. فلو رغب مثلًا الملك الذهاب الى القتال الساعة رافقتهُ للحال كل رعيَّتهِ ومعهُ سائر الملوك المهادنين لهُ والخاضعين لصولجانهِ بجميع جيوشهم وذخائرهم ومعدَّاتهم. وتقضي القواعد على الملك الاشوري ان يسبق الكل ويتقدم ويجري امام جيشهِ راكبًا عجلتهُ الملكية بيدهِ القوس والنشاب وعن يمينهِ يقف الترتان لابسًا التاج وعن يسارهِ يقوم معاون الترتان ويسمى عندهم بالساتانو (sultanu) ومن ورائهِ ينتصب خصيٌّ ماسكًا بيده المظلَّة الملكيَّة مفتوحة فوق رأسهِ. وهؤلاء الاشخاص الثلاثة لا يفارقون ملكهم ابدًا في زمن الحرب ولا يركبون الَّا على عجلاته ولا يحاربون الَّا بجانبهِ واذا اقتضت الحاجة يفدونهُ بانفسهم ويذبُّون عنهُ كل خطر ووبال. ويُحيط بالملك ايضًا عند انتشاب القتال الحرس الملكي وهو عبارة عن نخبة شبان الشعب كلهم من الجبابرة الصناديد ولا يتركون سلاحهم لا ليلًا ولا نهارًا إنْ في زمن السلم وان في زمن الحرب ومن اهمّ واجباتهم المحافظة على حياة الملك. وكم وكم من انقلاب وانتهاك حرمة صدرت عنهم في داخل القصر الملكيّ. وكم من قتل ملكٍ واقامة غيرهِ في مكانهِ كانوا هم السبب والآلة. وهاك ما قال عنهم اشعيا النبي في فصلهِ الخامس: « فيرفع رايةً للامم من بعيد ويصفر لأمَّةٍ من اقصى الارض فاذا بها مقبلة بسرعة وخفة. ليس فيها رازح ولا ساقط لا تنعس ولا تنام. لا تحلُّ مناطق احقائها ولا تنفكّ شرك نعالها. سهامها محدودة وكل قسيّها مشدودة تُحسب حوافر خيلها صوَّانًا وعجلاتها إعصارًا لها زئير كاللبوءة وهي تزأر كالاشبال وتزمجر وتخطف الفريسة وتستخلصها وليس من يستنقذها » (٥: ٢٦ — ٣٠)

وبعد الرجوع من الحرب يوزّع الملك الغنائم والاسرى على العشائر والامراء والملوك الصغار كل حسب اجتهاده وجهاده في ساحة القتال. ولم تزل هذه العادة جارية الى هذا اليوم عند اهل البادية. فالشيخ مثلًا اذا دعا قومهُ الى الغزو لبَّتهُ للحال اتباعهُ وسائر الشيوخ المصادقة لهُ وعند رجوعهم يتقاسمون الغنيمة والاسلاب كل حسب استحقاقهِ.

وكان العسكر الاشوري ينقسم الى ثلاث فرق: فرقة المشاة وهم القوَّاسة وفرقة الخيالة وهم الرمَّاحة وفرقة راكبي العجلات وهم حاملو السيف والترس وعلى الجيش

ان يطيع قوادهُ طاعة عميا. وجميع الحركات والاوامر الحربيَّة كانت تصدر من الملك وحدهُ وتلك الاوامر كانت تجري بنظام غريب واحكام عجيب حتى دفع هـذا الامر فرنسوا لنورمان الى القول: « ان الجيش الاشوريَّ لم يُغلب قط في زمانهِ حتى ولا مرَّة واحدة » (١

امَّا سلاح ذلك الجيل فكانت تتوقف على الرمح والسيف والترس والخنجر والدرع والدبوس والقوس والنشَّاب والمقلاع ولدينا شهادات تثبت وجودها بكل صحَّة

من ذلك انك ترى في متحف العاديات البريطاني صورة ناتئة وُجدت في اخربة قيونجك تمثـل رجالًا ستة بايديهم المقاليع وبجنبهم الحصى في عهد الملك اشوربانيبال (٦٢٥ ق م) وهؤلاء الرجال هم من الفرقة الممتازة بهذه الوظيفة

وكان الخيَّال الاشوري يركب دابتـهُ حافي الرجلين بلا سرج ولا ركابات عاري الساقين والذراعين وقلما كنت ترى تحتهُ خرقة تغطي ظهر الدابة ومثل هذا الامر جارٍ الى يومنا هذا عند عموم العراقيين وخصوصاً عند أعراب البادية اذ انهُ من العار عليهم ان يركبوا دابة مطهَّمة او مسرجة ومن يفعل ذلك يُعدُّ من المخنثين

ان المقوار (ويُلفظ المكوار) وهو الدبوس الذي برأسهِ كتلة هو عندي من اقدم الاسلحة التي استعان بها الانسان الاول عند المخاطر للدفاع وكان يتَّخذ كلهُ من الحديد او رأسهُ من قير ويده من الخشب او كلهُ من الخشب وكان الاغاب منهم يتخذ الكتلة من القير ويدهُ من الخشب وذلك لسهولة صنعـهِ ورخص قيمتهِ وخفَّة حملهِ وقوة فعلهِ مع صغرهِ قال الملك اشوربانيبال عن نفسهِ: « بينما كنت اتصيـد وقعتُ على سبع فقبضت على ذنبهِ وبقوة الالهين « آدار ونرغل » طحنتُ مخاخهُ بضربة مقوار واحدة »

وفي متحف العاديات البريطاني صورة ناتئة وُجدت في اخربة قيونجك تمثـل حربًا بين الاشوريين والعيلاميين. وهناك ترى عددًا من العساكر الاشوريَّة يقاتلون وبايديهم المقاوير (المكاوير) وتلك الواقعـة حدثت نحو السنة ٦٦٨ ق م. وفي ذلك المتحف ايضًا صورة ناتئة تمثل صفًّا من العسكر الاشوري حاملًا الترس والرمح وُجدت ايضًا في اخربة قيونجك

(١ Lenormant : *Hist. Anc. des peuples de l'Orient*, T, V. p. ٣٩

قال هيرودوتس واصفاً سلاح الاشوري: والاشوريون كان لهم خود نحاس مسرودة ومشتبكة بطريقة غريبة صعبة الوصف وحرابهم وتراسهم وخناجرهم تشبه تقريباً سلاح المصريين وفوق ذلك كانوا يحملون دبابيس خشب لها كتل من حديد ودروعاً زرديّة الخ » (١

ولا يزال السواد الاعظم من العراقيين يستعملون الى يومنا هذا القوار والرمح والسيف والخنجر والمقلاع وقلما تجد حارساً او ناطور بستان او رجلاً من البادية بلا مقوار مشكوكٍ في منطقته وبلا خنجر معلّق على جنبه. واذا مررت في طرق بغداد او في براريها تشاهد مراراً بايدي الصبيان مقاليع يرمون بها الطير او يقاتلون بها بعضهم بعضاً ودويّ طيران الحجر في الهواء يطنّ في زوايا الآذان ممّا يذكرنا بحروب القدماء بهذه اللعبة — هذا ما رأينا جمعهُ من عادات الاشوريين التي ورثها عنهم العراقيون ولو تتبّعنا احوال الشعبين لوجدنا غير ذلك كثيراً وفي هذا كفاية

القديس يوحنا فم الذهب واللغات الشرقيّة

نبذة للاب هنري لامنس اليسوعي

ورد في التأليف الحديث الذي وضعهُ حضرة الخوري ميخائيل غبريل وهو « تاريخ الكنيسة الانطاكية السريانيّة المارونيّة » ما نصّهُ (ص ٥٢٥) : « كان فم الذهب من انطاكية من الامّة السريانيّة ». فرأينا ان نبحث في هذه المجالة عمّا يتضمّنهُ هذا الزعم الجديد من الصحة

اذا تصفّحنا أعمال هذا المعلم الجليل وفخر الكنائس الشرقيّة وجدنا انّ كتبة ترجمته اجمعوا على انهُ وُلد في انطاكية ونشأ فيها. غير اننا لم نعلم من امر أسرتهِ ألّا النزر القليل. فاننا نجهل اصلها هل كانت كمعظم اهل سوريّة من العنصر الارامي (٢

(١ Hérodote II, l. 7-1861

(٢ ان تفرُّع شعب سورياً من العنصر الآرامي رأيٌ دافع عنها اغلب المستشرقين كالسمعاني ورينودوت والخوري مرتين واميود (A. Amiaud) والاب باريزو البندكتي والدكتوران بيكل

او من غيره. فانهُ لممكن ان يكون اصلها من الأمة السوريَّة ولكن لا دليل على ذلك. وغاية ما نعرفهُ عن اسرتهِ انها كانت مُثرية رغدة العيش وان لم تكن من الاسر العريقة في الشرف. وكان ابوهُ قائدًا في الجيش الروماني يُدعى سيكُندوس وهو اسمٌ روماني. وكذلك اسم خالتهِ كان لاتينيًا. امَّا والدتهُ فكانت تُدعى باسم يوناني أنثوسا (١. فترى من هذه الاعلامات انهُ لا يمكننا ان نتطع في اصل القديس يوحنا فم الذهب فننسبهُ الى عنصر آرامي او يوناني. ومما لا نرتاب فيهِ انَّ اسرتهُ اتخذت تمدُّن اليونان وعاداتهم الجارية في ذلك العهد في حواضر الشام ومدنها الكبرى فصارت شبه اليونانية (hellénisée) كالمستعربين بين العرب وكالمتفرنجين في ايامنا

امَّا لغة القديس الذي نحن بصددهِ فلا نتردد في القول انها كانت اليونانية وانَّ فم الذهب كان يجهل السريانية. هذا ما يُستنتج من درس اعمال القديس. لكننا نورد هنا شاهدين صريحين كنَّا اثبتناهما سابقًا في المشرق (٣: ٢٦٩) فزعم البعض اننا اخترعناهما او زوَّرناهما. فالعود اليهما احمد

والشاهد الاول ورد في ميمر القديس عن الشهداء حيث يذكر فم الذهب ان كثيرين ممن استشهدوا دُفنوا خارجًا من انطاكية في ربوضها ثمَّ يردف كلامهُ قائلًا: « لا تكترثوا ايها الحضور لرطانة هؤلاء الشهداء ولغتهم الاعجمية (βάρβαρον φωνήν)... فهل من احد يعبأ باختلاف اللغات لمَّا يجمعنا ايمان واحد ». فمن هذا النصّ الصريح نستنتج (اولًا) ان لغة القديس يوحنا فم الذهب كانت اليونانية لانهُ يدعو لغة هؤلاء الشهداء لغةً اعجميَّة ورطانة بربريَّة. (وثانيًا) انَّ لغة القرويين المجاورين لانطاكية ليست

(Bickell) ونستل (Nestle) وغيرهم دوَّنا اسماءهم في مقالتنا المنشورة بالفرنسيَّة عن الاخ (فرا) غريفون ولبنان في القرن الخامس عشر (ص٢٥). وزد على الذين ذكرنا هناك رينان في كتاب تاريخ اللغات السامية (١: ٢٧٧) وماس لاتري (Mas-Latrie) في تاريخ قبرس (١: ١٠٤) واغنيس سميث في الابحاث السيناوية الجزء السادس ومجلَّة المشرق المسيحي (سنة ١٨٩٨ ص ٢٧٨ وسنة ١٨٩٩ ص ٣٥٠ و٢٦٠ وسنة ١٩٠١ ص ٢٤١) والمجلَّة الاسيويَّة (١٨٩٨ الجزء الاول ٢٤١ و٢٦٧) ور. دوفال الخ

١) فان اضفنا الى هذه الاسماء اسم يوحنَّا العبراني لا نجد الَّا اسمًا واحدًا يونانيًّا في عائلة فم الذهب. — وجاء في النشرة المنونة (Bullet. de Corresp. hellénique) في تاريخ سنة ١٩٠٠ (ص ٢٨٦) ان يونانيَّة اهل انطاكية لم تكن فصيحة وكانت مشحونة بالفاظ لاتينية دخيلة

اليونانية (١ . وهذه اللغة الاعجمية كان يتكلّم بهـا لا الشعب فقط بل جمهور الكهنة والرهبان والاساقفة لانّ اكثر هؤلاء الشهداء كانوا من جملتهم

ولنا في تاريخ تاودوريطوس اسقف قورش ما يؤيد نتيجتنـا هذه الثانية ويبيّن صريحًا انّ النساك المجاورين المتعبدين لله قريبًا من انطاكية كانوا يجهلون اليونانيَّة

اخبر تاودوريطوس عن الناسك الشهير مكدونيوس معاصر القديس يوحنّا فم الذهب انهُ (٢ كان يسكن في بئر فاتَّسمَهُ الاهلون لذلك باسم Guba اي جبّ (٣ . فلما خبر قداسته الى فلابيانوس اسقف انطاكية فاستدعاهُ الى المدينة وأحضَرَهُ الرُّتبَ المقدَّسة . وفي اثناء الذبيحة استقدم السائح القديس ووضع عليهِ اليد فجعلهُ كاهنًا دون علمهِ . فلمَّا خرج الشعب من الكنيسـة وشعر الراهب بما جرى لهُ من امر تكهينهِ لانهُ لم يكن يفهم اليونانية ومعاني ليتورجيَّتهـا اخذ منهُ الغيظ مأخذهُ ورفع عصاهُ يتهدَّد من يريد ان يصدَّهُ عن الرجوع الى مسكنهِ اذ كان يتخيَّـل ان الكهنوت يُفقدهُ نعمة الزهد والتنسُّك (٤ ويوجبهُ بخدمة النفوس كرعاة الكنيسـة . وفي هذا الحادث شاهدٌ جلي على انّ الناسك المذكور والشعب الذي أُقيم لرعايتهِ لم يفهموا اللغة اليونانية

وفي ترجمـة مكدونيوس هذا دليل آخر على انهُ هو والحبساء الذين كانوا في المناسك المجاورة لانطاكية كانوا يجهلون اليونانيَّة . وذلك انّ تاودوسيوس الملك كان بامَهُ

---

١) قرأنا في كراسة حديثة لحضرة الاب الفاضل قسطنطين باشا ان في ظهراني انطاكية كان الناس يتكلَّـمون يونانية ركيكة عاميَّة . الَّا ان قول يوحنَّا فم الذهب يبطل هذا الزعم مطلقًا . فانهُ بوصفهِ هذه اللغة بلغـة « بربريَّة » ينفي اليونانية – ولعلَّ حضرتهُ يجهـل انّ لغة اهل انطاكية نفسها لم تكن فصيحة كما شهد بذلك فيلوسترات في ترجمة ابولونيوس (راجع Bulletin de Corresp. hellén. 1900 p. 289) . ومن الامور الغريبة انّ العلماء لم يكتشفوا في انطاكية من الكتابات اليونانيَّة القديمة الَّا النزر القليل . حتَّى انّها لو جُمعت لما تجاوزت ستة اسطر . راجع المؤرخ ممسن (Mommsen) في تاريخهِ الروماني ج ٥ ص ٢٦٠ ووادنغتون (كتابات سورية ص ٤٢٦) وفورستر (Jahrbuch 1897) وغيرهم كثيرين – هذا وننتهز هذا الفرصة لنشكر لحضرة الاب قسطنطين لطفهُ في مجادلتهِ . فيا ليت غيرهُ احتذى في ذلك حذوهُ

٢) راجع أعمال الاباء اليونان لمين (ج ٨٢ ص ١٣٠٦)

٣) من السريانية ܓܘܒܐ وفي هذه التسمية دليل على انّ الشعب كان يتكلَّم بالسريانية

٤) راجع تفاصيل هذه الحكاية البهجة في تاريخ تاودوريطوس (ص ١٣٠٨)

انّ شغبًا حدث في انطاكية وثار اهلها وشوّهوا صوره فارسل عاملَين من عمّاله ليعاقبا بالموت كل من دخل في هذه الفتنة. فبلغ هذا الخبر مسامع السيّاح الذين كانوا بجوار المدينة فاسرعوا لينقذوا اخوتهم المسيحيين من هذه المحنة العظيمة ودخلوا على عاملَي الملك واخذوا ينتهرونهما ويزجرونهما ليعدلا عن قصدهما (١. هذا ما اخبر به القديس يوحنّا فم الذهب لكنّهُ لم يُفِدنا عن اللغة التي تكلّم بها هؤلاء. وانما ذكر عنهم « انهم قومٌ لا يلبسون سوى رداء خشن ويعيشون في الجبال والغابات ». وقد تلافى تاودوريطوس سكوت فم الذهب عن لغة الحبساء المذكورين فقال عن مكدونيوس مُقدَّمهم انهُ انتهر عمّال الملك « بالسريانية وكان الترجمان ينقل كلامهُ اليهم باليونانية (٢ ». فليس من دليل اوضح من هذا لتأييد قولنا عن شيوع السريانيَّة في جوار انطاكية بل في انطاكية نفسها كما يدلُّ على ذلك وجود تراجمة بين اهلها ما لم يقل القائل انَّ عمّال الملك كان يصحبهم ترجمان رسمي حيثما ساروا وهذا يزيد قولنا حجّة

فلنأتِنَّ الآن الى الشاهد الآخر الذي زعم ايضًا البعض اننا موّهناهُ وبدلنا معناه وهذا الشاهد ورد في الميمر التاسع عشر لاهل انطاكية فاه بهِ ذهبيُّ الفم في حفلةٍ تقاطر اليها اهل القرى المجاورة لانطاكية. فممّا قال الخطيب المصقع ما تعريبهُ الحرفيُّ: « اني أعدُّ هذه الحفلة كاعظم الاعياد وابهجها لحضور اخوتنا الذين شرّفوا مدينتنا بقدومهم وزانوا هذه الكنيسة. نعم انَّ هؤلاء القوم يختلفون عنّا باللسان (Ἀλλὰ κατὰ τὴν γλῶτταν ἐνηλλαγμένος) لكنَّ ايمانهُ يوافق ايماننا ». فهذا دليل آخر لا يُنقض على الفرق الكائن بين لغة الخطيب وسامعيهِ ولغة قرى انطاكية. ولا شكَّ انَّ اللغة المشار اليها كانت السريانية كما سبق ونصَّ عليهِ في حاشية الكتاب صاحبا (٣ الترجمتين اللاتينيّة والفرنسيَّة بقولهما: « ان اهل قرى انطاكية كانوا يتكلّمون بالسريانيَّة »

هذا لعمري امرٌ غريب انَّ الشعب والاكليروس في جوار عاصمةٍ كبرى

---

١) راجع الميمر ١٧ من ميامر القديس يوحنا فم الذهب لاهل انطاكية

٢) راجع تاريخهُ الرهباني في أعمال الاباء اليونان ج ٨٢ ص ١٦٠٦ و ١٦١٠

٣) وهما البندكتي الشهير مُنتفوكون (Montfaucon) وبارايل (Bareille)

كانطاكية يبلغ عدد سكّانها نيّفاً ونصف مليون من النفوس داوموا على التكلم بالسريانية رغماً عن تمدُّن هذه المدينة وسيطرتها مدَّة سبعة اجيال متوالية. فكيف لم تنتشر اللغة اليونانية بينهم مع انَّ الايمان المسيحي كان واحدًا كما شهد القديس يوحنا فم الذهب ولم تنفصل القلوب في ذاك الوقت الانشقاقات الدينية كالنسطوريَّة واليعقوبية اذ لم تظهر هذه البدع الّا بعد ذلك بنحو خمسين سنة

فهذا مشكلٌ حاولنا حلهُ في مقالة سابقة بيَّنَّا فيها انَّ اللغة السريانية كانت اكثر انتشارًا من اليونانيَّة غير انَّ ادلَّتنا لسوء الحظ لم ترضِ بعض المتقدين فنسبونا الى التزوير. والحق يقال اننا لم نُوضح الامر كما اوضحهُ قبلنا احد آباء الكنيسة اليونانية المتازين وهو تاودوريطوس فانهُ ليس فقط يشهد بالاجمال على تكلُّم اهل بلاد الشام بالسريانية لكنَّهُ قد عدَّد اكبر اقطار سوريَّة مفصلًا اسماء المتكلّمين بها قال (١ : « ان لغة السوريين والامم المجاورة للفرات والفلسطينين والفينيقيين هي السريانية (٢) »

ولعلَّ بعضًا من قرائنا بعد ما اتينا بهِ من الشواهد المقتطفة من اعمال القديس يوحنا فم الذهب وتاودوريطس يتشاوفون قول القديسة سيلفيا (٣ فينسبون الى انطاكية ما روتهُ عن اورشليم حيث قالت « ان فئة من اهل القدس يعرفون اليونانية والسريانية وفئة اخرى لا يفهمون سوى اليونانية وفئة ثالثة يتكلّمون فقط بالسريانية » (٤ فينتج من هذا ان ثُلثي المدينة كانوا يعرفون اللغة السريانيةَ وهذا لعمر الحق قسم صالح

اما نحن فترضى لاثبات مدّعانا باقل من ذلك. قال العلامة روبنس دوڤال من اكبر معلمي اللغة السريانية في كتابهِ عن الآداب السريانية (ص٤—٥) انَّ اهل سوريَّة بعد

---

١) راجع اعمال الاباء اليونان لمين ج ٨٠ ص ١٤٢٧

٢) وقال فم الذهب : « ان السوريين مع كونهم من الاعجميين قد نقلوا الاسفار الالهيَّة الى لغتهم » اعمال الاباء اليونان ج ٥٩ ص ٣٢

٣) لا « القديس سلفيا » كما جاء في كرَّاسة حضرة الاب قسطنطين باشا (ص ٥٢)

٤) اما حضرة الاب قسطنطين باشا فقد عرَّب هذا النصَّ وزاد عليهِ الفاظاً غيَّرت معناها وها نحن نذكر ترجمتهُ ونضع بين معكّفين ما زادهُ الناقل ليرى القراء ان كنَّا نحن من المحرّفين قال (ص٥٢) : « في هذه البلاد فئة من السكان يعرفون اليونانية والسريانية. وفئة أخرى [يونان الاصل] ولا يعرفون الّا اليونانية والباقي [وهم القليل] لا يعرفون الّا السريانية » فليحكم الحكَم عن ضبط هذه الترجمة

فتح الساوقيين اتخذوا التمدُّن اليوناني اما اللغة العاميَّة فبقيت السريانيَّة ». وزد على ذلك ما رواهُ الاب رتزقال في مقالته عن تدمر وزينب انهُ لم يوجد في هذه المدينة ناسخ يوناني في أيام عزّها

فلنَعُد الان الى القديس يوحنا فم الذهب قائلين انهُ ثبت ممَّا تقدم ان لغة هذا الرجل العظيم كانت اليونانية. ولكن هل كان يعرف السريانيَّة ايضاً فالامر ممكن لا يسعنا تأكيدهُ. ومن المقرَّر ان اساقفة كثيرين من سوريَّة كانوا يعرفون السريانية كاسقف اورشليم الذي صادفتهُ القديسة سيلڤيا فقالت عنهُ انهُ كان يتكلَّم باليونانية « مع معرفته بالسريانيَّة » (etsi siriste noverit). وكذلك القديس ابيفانيوس كان يتقن السريانيَّة وهي لغتهُ الاصليَّة ويعرف العبرانية ثم درس اليونانية في الاسكندريَّة فلم يُحكمها. هكذا روى عنهُ فوطيوس (١

امَّا تاودوريطوس فمعرفتهُ للغة السريانيَّة تلوح ممَّا سبق وتظهر ظهور الشمس في تفاسيره للكتب المقدَّسة فانهُ كثيرًا ما يشير الى النسخة السريانية ويترجم آيات منها ويقابل بينها وبين النسخة السبعينيَّة او العبرانيَّة (٢

وبوسعنا ان نذكر غير هؤلاء من كتبة اليونان ومشاهيرهم مثلًا مترجم اعمال القديس ايرونيموس الى اليونانية (٣

ومهما كان الامر انهُ لا ريب في القول بان اللغة اليونانيَّة هي لغة القديس يوحنا فم الذهب اما معرفتهُ للسريانيَّة فليست بمقرَّرة. فهذا ما يظهر من مطالعة اعمال القديس. ولو اردنا لزدنا على هذه الحجج ما يزيدها اثباتًا مثال ذلك انَّ فم الذهب عند ذكره السوريين يلقّبهم بالاعاجم ويذكر لغتهم كأنها قائمة بذاتها مختلفة عن اليونانية (٤— ومن

---

١) راجع مجادلتي القديس ايرونيم ضدَّ روفينس. وترجمة القديس ابيفانوس في اول اعماله في مجموع الآباء اليونان

٢) راجع في اعمال الآباء اليونان ج ٨٠: ص ٧٢, ٧٤, ١٠١, ٢٢٧, ٤٨٢, ٨٦٤, ١٠٠٥, ١٤٢٠, ١٤٥٤ الخ – وج ٨١: ص ٤٠٨, ٤٢٢, ٤٥٥, ٤٧٥, ٤٧٧, ٤٨٤ الخ – وج ٨٢: ص ٢٨٥, ١٢٠٦, ١٢١٠ الخ ونرجح ان تاودوريطوس كان يعرف اللغة العربية هو والقديس سمعان العمودي ويظهر ذلك من تاريخ سيرة هذا الناسك الشهير

٣) راجع مجلة Muséon, 1901 p. 296

٤) راجع اعمال الاباء اليونان (ج ٥٩ ص ٢٣)

ذلك قولهُ في محل آخر « انَّ الاسفار الالهية لم تكتب في لغتنا لكن في العبرانية (١ » فقولهُ « لغتنا » يدلُّ على انَّ لغتهُ كانت اليونانية — ومنهُ قولهُ في شرح آية من الكتاب الكريم » ويشهد بذلك الذين يعرفون اللغة السريانية (٢ » فمثل هذا لا يقولهُ عادةً رجل عارف بلغة اجنبيَّة

وخلاصة الكلام ان قول حضرة الخوري ميخائيل غبريل انَّ « يوحنا فم الذهب كان من الأمَّة السريانية » ليس بقول ثبتٍ يحتاج الى ادلَّة لم نجد لها من اثر في التاريخ حتى عهدنا الحاضر والسلام

الكثلكة في القرن التاسع عشر

نظرٌ للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تتمَّة لما سبق)

٣ اميركة

لا نشك ان الذين طالعوا مقالتنا السابقة عن نجاح الكثلكة في اوربَّة نالهم لذلك العجب العجاب وشكروا الله على اعلائهِ كعب كنيستهِ بين جميع الدول المتمدنة. على انهُ تعالى عزَّ وجلَّ لم يقصر مفاعيل قدرتهِ على اوربَّة وحدها بل افاضها بكرم على بقيَّة انحاء المعمور فان اعتبرنا الدنيا الجديدة وجدنا الكنيسة الكاثوليكيَّة فيها بلغت من العز والتقدم حيث لم تبلغ الآمال. فانَّ اميركة في قسميها الشمالي والجنوبي رأت الكثلكة في مقام رفيع بعد ان كانت متزوية في بعض بلادها لا تستلفت اليها سوى انظار القليلين

(اميركة الشماليَّة) شعَّت انوار الكثلكة في اميركة الشماليَّة حتى انَّها تبهر اليوم عيون كل الناظرين. فمن ذلك انَّ المرسلين الكاثوليكيين دخلوا منذ عهد قريب في اقصى اميركة الشمالية في جزائر غروينلند وإسلند وبشَّروا باسم المسيح بين قبائل تلك البلاد التي لا يعيش فيها الَّا بعض قبائل الإسكيمو ومن لا رغبة لهُ في الحياة فلم

---

١) فيلا ج ٥٣ ص ٤٢ ٢) في المحلّ ذاتهِ

يحرمهم الله ثمرة اتعابهم غير اننا لا نعرف بالتدقيق عدد الكاثوليك في تلك الاصقاع النازحة

امَّا (اميركة الانكليزيَّة) التي تحتوي بلاد كاندا والارض الجديدة فانَّ الكاثوليك كانوا فيها في بدء القرن التاسع عشر ١٢٠,٠٠٠ فقط تحت ادارة اسقف واحد وهم اليوم في كاندا نصف سكانها فينيفون على الفيَ الفٍ. وهم لا يزالون في نموّ دائم حتى لو بقوا على هـذا المعدَّل لبلغ عددهم في آخر القرن العشرين ٢٠,٠٠٠,٠٠٠ والاعمال الكاثوليكية في تلك البلاد مزهرة نامية بهمَّة ١٨ اسقفًا او رئيس اساقفة فلو اردنا تعدادها فقط لما كفانا كتاب واسع وعليهِ فنكتفي بالاشارة. واذا اضفنـا الى كاثوليك كاندا من سكن منهم الارض الجديدة وبقيَّة الجزائر المجاورة لهـا لكان مجموع الكاثوليك في اميركة الانكليزيَّة سنة ١٩٠٠ ٢,٢٣٠,٠٠٠ نفس اعني انهم اكثر من نصف سكَّانها بنحو اربعين الفًا

ومن اميركة الشمالية (الولايات المتحدة) كان عدد الكاثوليك فيها ٤٠,٠٠٠ بين ٤,٠٠٠,٠٠٠ من السكَّان ليس لهم الَّا اسقف واحد في بلتيمور. وهم اليوم يربون على ١٠,٠٠٠,٠٠٠ بين ٦٥,٠٠٠,٠٠٠ فصاروا بنسبة الواحد الى ستة بعد ان كانوا بنسبة الواحد الى المئة. ولا تزال الكنيسة الكاثوليكية في هذه الولايات في ترقٍّ دائم مكرَّمة متبوعة القول يدير شؤونها كردينال واحد. و ٩٢ اسقفًا او رئيس اساقفة و ٩٠٠٠ كاهن وللكاثوليك كليَّات عامرة ومدارس لا تُحصى ومشروعات خيريَّة لكلّ طبقات الشعب وللبسوعيين رسالات زاهية بين قبائل المتوحّشين من هنود وغيرهم. وقد دخلوا منذ عهد قريب في بلاد ألاسكا. وكذا بقية الرهبانيَّات تفلح كرم الرب بنشاط عجيب. اما تفاصيل اعمال الكاثوليك في الولايات المتحدة فتستغرق مجلدات ضخمة لا يسعنا الإلمام بهـا. وحسبنا القول انَّ كثيرين من مشاهير البروتستانت قـد شهدوا للكثلكة ومساعيها المبرورة وقوَّتها الالهيَّة. وقد ذكر البشير مرارًا اقوالهم فلا حاجة الى تكرارها

ومن اميركة الشماليَّة ايضًا بلاد (المكسيك) واهلها كلهم كاثوليك الَّا نفرًا قليلًا لا يتبعون معتقدهم. وعددهم ١٢,٦٠٠,٠٠٠ فبلغت زيادتهم في مئة سنة نحو الضعف

ومن اميركة الشماليَّة اخيرًا (اميركة الوسطى) الواقعة بين الاوقيانوس الكبير وبحر الانتيـل. وهي تشمل خمس جمهوريَّات: غواتالا وهندوراس وسلفادور ونيكاراغوا

وكستاريكا واهل هـذه الجمهوريّات اسبانيّو الاصل عددهم ٣,٠٠٠,٠٠٠ وكلهم كاثوليك الّا قسماً صغيرًا فتكون الزيادة منذ مئة سنة مليونًا

(اميركة الجنوبيَّة) تضيق صفحات هذه المجلة عن ذكر ما للكثلكة في اميركة الجنوبية من الآثار الجليلة فانها الدين الغالب على اهل تلك الامصار الواسعة حتى انَّ عدد المؤمنين فيها يتجاوز الاربعين مليونًا. وكانت تلك البلاد قد اصابتها ضربة لازبة لمَّا أُلغيت الرهبانية اليسوعيَّة في أواخر القرن الثامن عشر واستولى على اسبانيـة روح الكفر والفساد الَّا انَّ الربَّ مسَّ تابوت الميت كما فعـل مع ابن ارملة نائين فاقامهُ وهكذا قد اعاد اليوم لاميركة الجنوبية حياة جديدة ورونقها السابق من حيث الدين. والكاثوليك فيها الان نيف واربعون مليونًا منتشرين في ولاياتها الاثنتي عشرة المستقلة وخصوصًا في البرازيل حيث يبلغ عددهم ١٤,٥٠٠,٠٠٠. وقد ظهر مجد الكثلكة في تلك البلاد مؤخرًا لمَّا اجتمع منذ ثلاث سنوات كل اساقفة اميركة الجنوبية في رومة وعقدوا مجمعًا كبيرًا بحثوا فيهِ عن كل شؤون بلادهم الروحيَّة وقد صادق الحبر الاعظم على مقاصدهم الحسنة وشدَّد عزائمهم وبعثهم على كل عمل مبرور يؤول الى مجدهِ تعالى وخلاص النفوس

فمن هذه اللائحـة الموجزة ترى ان اكثر من نصف سكَّان قارة اميركة يتبعون الكنيسة البطرسية. والامل وطيد انَّ عدد الضالين في آخر القرن العشرين ينحصر في بضعة ملايين

٣ اوقيانية

تُلحق اوقيانية باميركة لوقوع اكثر جزائرها في جوارها في وسط البحر الباسيفيكي. واوقيانية يقسمها الجغرافيون الى عدَّة اقسام نجري عليها نحن ايضًا لبيـان ترقي الدين الكاثوليكي في كل صقع منها

١ (مالاسيا) هي كناية عن عدَّة جزائر وارخبيلات مختلفة في الكبر تملكها اربع دول: (الاولى) هولندة وفي ملكها جزائر سومترة وجاوة والصُّند وسيليبس وجزائر الملوك وفلورس وقسم من غينة الجديدة وتيمور وبورنيو. وكل هذه الجزائر فيها اليوم مرسلون كاثوليكيون اكثرهم اليسوعيون بلغوا بهمّتهم عدد المتنصرين الى نيّفًا و ٦٠,٠٠٠ ولم يكن في بدء العصر المنصرم فيهـا كاثوليكيّ واحد. (الثانية) انكلترَّة تملك في

اوقيانية جزيرة لابوان وقسماً من جزائر بورنيو · يبشّر تلك البلاد بالايمان الكاثوليكي مرسلون انكليزيون من جمعيّة ميل هيل التي سبق ذكرها وهم اليوم يرشدون في سبل الخلاص ١٠,٠٠٠ رجل انتشلوهم من ضلال الشرك في مدّة خمسين سنة ·(الثالثة) البورتغال ولهم قسم من جزيرة تيمور من ارخبيل الصند فيها ٢٢٠٠ كاثوليكي · (الرابعة) الولايات المتحدة التي خلفت اسبانية في ملك الفيلبين وفي تلك الجزائر ٥,٥٥٠,٠٠٠ من الكاثوليك امّا الباقون فهم وثنيون وعددهم لا يتجاوز ٣٠٠,٠٠٠ ومسلمون نحو ٤٠٠,٠٠٠ وللمرسلين الكاثوليكيين في تلك الاصقاع اعمال خطيرة لا يمحوها الدهر فانهم بعرق جبينهم بل بدمهم غيّروا الفيلبين وزرعوا فيها الايمان وعلّموا اهاليها كل الفضائل المدنيّة والدينيّة حتى صاروا مثالًا للتقى وخوف الله

٢ (اوستراليا) اوستراليا مجد الكنيسة الاثيل وواسطة القلادة التي تزين جيدها في القرن التاسع عشر . فانها في مفتتح ذلك القرن لم يُعرف فيها اسم الكاثوليك وعددهم اليوم مليون من النفوس (اي أكثر من ثلث سكّانها) يرأسهم ستة مطارنة و ٢١ اسقفاً و ٨٠٠ كاهن مع رهبان من كل الجمعيات الرهبانية وقد بلغ عدد الكنائس المشيَّدة في هذه المدّة ١٧٣٠ كنيسة او معبداً

٣ (بقيّة جزائر اوقيانية) هذه الجزائر على ثلاثة اقسام منها ما يتبع اوسترالية ويسمّى معها باسم ميلانيسيا اي جزائر السودان · ومنها الجزائر الصغرى او ميكرونيسيا · ومنها پولينيسيا اي الجزائر المتعدّدة · ونحن نذكرها جميعاً في هذا الباب فنقول انّ نعمة الرب قد فاضت على هذه الجزائر في عصرنا فصنعت في قلوب سكّانها المتوحّشين عجائب وقد تمّ بينهم فعلًا قول الانبياء الذين سبقوا وبشّروا بخلاص الجزائر الواقعة في اقاصي المسكونة · وقد كان دخول المرسلين الاوّلين من الكاثوليك في اوقيانية سنة ١٨٢٦ فلم يزالوا مذ ذاك العهد يكدّون ويجهدون حتى زكا الزرع واتى بغلّات وافرة · واليوم يبشّر تلك الجزائر اربع جماعات رهبانيّة (الاولى) جماعة آباء قلبي يسوع ومريم يبشّرون جزائر سندفيش المعروفة ايضاً بهاواي وقد صبغوا بمياه المعمودية الوفا من اهل تلك البلاد · وعدد الكاثوليك اليوم يناهز ٤٠,٠٠٠ وفي احدى تلك الجزائر توفي ذلك الشهم البطل الاب داميان بعد ان خدم ١٢ سنة البرص فاعداه مرضهم ومات فرحاً شهيد محبّته فاطنبت على همّته كل الجرائد على اختلاف صبغاتها · وأُقيم لهُ تمثال في وطنه

وهؤلاء الرهبان نفسهم دخلوا سنة ١٨٣٣ في جزائر اوقيانية الشرقية فامتدوا فيها شيئاً فشيئاً حتى انهم شيَّدوا فيها ٤٥ كنيسة وفتحوا ٣٠ كنيسة في جزائر مختلفة في ارخبيل تاهيتي وارخبيل غامبيار وارخبيل يوموتو وجزيرة الفصح. وكلُّ اهل تلك الجزائر من السودان المتوحشين وبعضهم يقتات بلحوم البشر فتمكَّن المرسلون من تلطيف طباعهم وتغيير قلوبهم بعد اتعاب لا توصف. وعدد الكاثوليك في هذه الجزائر نحو ١٠,٠٠٠ ولآباء قلبي يسوع ومريم رسالة ثالثة في اوقيانية في جزائر مركيز يبشِّر بها ١٥ مرسلاً والكاثوليك فيها ٤٠٠٠

الرهبانية (الثانية) التي تبشِّر جزائر اوقيانية هي جمعيَّة الآباء المريميين حصَّتهم في التبشير اوقيانية الوسطى وارخبيل المُبحرين وكليدونية الجديدة وارخبيل فيجي وهم قد كحلوا في مدة خمسين سنة ربع قبائل تلك البلاد الشاسعة بانوار الانجيل لا يتمالك كلُّ من يشاهد اعمال هؤلاء المرسلين عن الثناء على همتهم القعساء. فانهم اتوا بقوَّة الله ما لم يأتِ به اعظم الملوك بجيوشهِ الجرارة ومدَّنوا أُممًا شاع ذكر همجيَّتهم وتوحشهم

الرهبانيَّة (الثالثة) هي جماعة آباء قلب يسوع من ايسودون ارسلوا من عهد قريب الى جزائر ميلانيسيا وغينية الجديدة وبوميرانيا الجديدة. وقد تمكَّنوا منذ نحو عشرين سنة رغمًا عن كل ما اعترضتهم من المشاكل في انشاء رسالات اخذت تُزهر ببركة امام الاحبار الذي لم يشأ ان تبقى تلك الاقطار محرومةً من نعمة الخلاص. وعدد الكاثوليك فيها اليوم خمسة آلاف

وآخر رهبانية تحرث كرم الرب في اوقيانية هي رهبانيَّة الكبوشيين لهم رسالة حديثة العهد كان ابتداؤُها سنة ١٨٨٦ اخذت تأتي باثمارها

هذا مجمل اعمال المرسلين في اوقيانية ولا نشكُّ في انَّهم يردُّون الى الايمان معظم قبائل تلك البلاد قبل خمسين سنة اللهمَّ اذا ما ثبتوا على العمل ولم يعترض لهم عارض في سبيل مشروعاتهم الخطيرة

٤ افريقية

تشبه قارة افريقية جزائر اوقيانية بنموّ عدد المؤمنين فيها في بهرة القرن التاسع عشر وها نحن نستقري اقسامها اجمالاً

١ (افريقية الشماليَّة) كان عدد الكاثوليك فيها في غرَّة القرن السابق ١٥,٠٠٠

يقوم بامورهم الروحيَّة نحو ٥٠ كاهناً واليوم قد بلغ عددهم نحو ٦٠٠,٠٠٠ تحت رئاسة رئيسَي اساقفة واربعة اساقفة وخمسة نوَّاب و ٨٢٠ كاهناً لهم ٤٢٠ كنيسة و ٥٥٠ مدرسة. ويبشر في تلك البلاد رهبان عديدون في مقدَّمتهم الاباء البيض الذين انشأهم ذلك المنوار المستحقّ ان يُدعى رسول افريقية السيد لافيجري يبشّرون الجزائر وتونس ومنهم اليسوعيون في الجزائر وجبال القبائل ومصر ومنهم الفرنسيسيُّون والكبوشيون في مصر ومراكش وطرابلس الغرب. وقد أُنشئت رسالة حديثة لتبشير قبائل الصحراء في مجاهل افريقية يتولى تدبيرها الاباء البيض

٢ (افريقية الغربيَّة) تشمل افريقيـة الغربيَّة خمس رسالات كبرى أُنشئت كلها في أواسط القرن التاسع عشر الَّا رسالة واحدة في انغولا كانت في حالة حرجة. وهذه الرسالات الخمس تتفرَّع الى عدَّة رسالات أُخر نذكر هنا اهمها: منها رسالة سينيغال وسينيغمبيا يتولى شؤونها آباء الروح القدس بغيرة عظيمة. وقد ادخلوا في حظيرة الكنيسة ٢٠,٠٠٠ من اهل الشرك — ومنها رسالة سيَّارا ليوني أُنشئت سنة ١٨٥٨ وفُوِّض امر تبشيرها للمرسلين الافريقيين من ليون وقد اصابهم في انشائها عوائق جمة خصوصاً من جهة البروتستانت. والكاثوليك في تلك الرسالة ٢٥٠٠ — ومنها رسالة ساحل الذهب أُنشئت حديثاً يدبرها الآباء الافريقيون منذ ٢٠ سنة والكاثوليك فيها ٣٠٠٠ — ومنها رسالة داهوماي ابتدأت سنة ١٨٧٠ عدد الكاثوليك فيها ٤٠٠٠ والامل وطيد اليوم بان سيرجع أكثر اهلها الى الايمان بعد دخول البلد تحت حكم فرنسة — ومنها رسالة بنين للاباء الافريقيين ايضاً أُنشئت سنة ١٨٨٠ فبلغ مذ ذاك عدد الكاثوليك ٢٠,٠٠٠ — ومنها رسالة غينية تضمّ البلاد المجاورة لنهر النيجر وبلاد الكامرون والغابون كان إنشاء الرسالتين الاولين سنة ١٨٨٩ امَّا رسالة الغابون فابتدأت سنة ١٨٤٤. والكاثوليك في هذه الاماكن ٦٠٠٠ يُعنى بتدبيرهم آباء جمعيَّة الروح القدس وقد اَدَّوا للتمدُّن خدماً جليلة عرفتها لهم فرنسة — ومنها اخيراً الكنغو يبشّر اقسامهُ المتعددة مرسلون من جمعيَّات رهبانيَّة شتى كالاباء البيض وآباء الروح القدس واليسوعيين وغيرهم وعدد الكاثوليك قد بلغ اليوم بعد تبشير سنين قليلة ٥٠,٠٠٠ نفس

(افريقية الشرقيَّة) تحتوي (اولاً) على بلاد موزنبيك وزمبيزيا وهي بلاد واسعة يملك على قسم منها البورتغاليُّون وعلى القسم الآخر الانكليز يبشّر تلك البلاد الآباء

اليسوعيون منذ عشرين سنة وقد ذهب منهم نحو ٣٠ مرسلاً ضحايا حبّهم لخلاص النفوس في انحاء موبوءة لا يحلّها الاجنبي الّا باع حياتهُ رخيصة. اما عدد الكاثوليك فنحو ١٠,٠٠٠ — (ثانيًا) زنجبار يبذر فيها بذر الايمان آباء الروح القدس منذ سنة ١٨٦٢ والرهبان البندكتيون الالمانيون منذ ١٨٨٧ والمؤمنون اليوم بلغوا بهمتهم نحو ٤٠٠٠ — (ثالثًا) رسالتا الحبش وقبائل الغالاس سعى منذ سنة ١٨٣٩ بهما الآباء اللعازريون والكبوشيون فنالتهم فيهما محن عديدة يطول شرحها لكنّ اتعابهم لم تذهب سدًى والملك الحالي منليك يعرف فضل المرسلين وتراهتهم وكثيرًا ما تحفّى بهم واكرمهم لاسيَّما بعد ان اوصاهُ بهم قداسة الحبر الاعظم. وعدد الكاثوليك اليوم في الحبش نحو ٢٠٠٠٠ وفي بلاد الغالاس ٦٥٠٠

(افريقية الوسطى) تشمل (اولًا) رسالة السودان لجماعة رهبان ڤيرونا الذين عادوا الى مراكزهم بعد كسرة المهدي واشياعهِ. (ثانيًا) رسالة ڤيكتوريا نياترا للآباء البيض دخلوها سنة ١٨٧٩ فردُّوا الى الايمان قسمًا صالحًا من اهلها الذين آثروا الموت على جحود دينهم بعد ما ثارت عليهم ثوائر الاضطهادات. وكان من جملة من استشهد عدَّة غلمان كانوا في خدمة الملك احرقهم الجلَّادون فلم ينبسوا بكلمة. وكان موتهم داعيًا لكثيرين للتنصُّر. وهذه الرسالة اليوم تحتوي ٥٠٠٠ مؤمن من جملتهم الملك — (ثالثًا) رسالة تنغنيكا الشرقيَّة والغربيَّة يتولَّى البشارة فيها الآباء البيض منذ نحو عشرين سنة والكاثوليك من الزنج ٦٠٠٠ يضاف اليهم ٥٠٠ من المتنصّرين في رسالة اونيانيمبة بين ڤيكتوريا نياترا وتنغنيكا — (الرابعة) رسالة نياسًا المختصَّة بالقبائل المجاورة لهذه البحيرة وهي ايضًا من رسالات الآباء البيض باشروا بها منذ ١٢ سنة والى الآن لا نعرف ما اصابوا هناك من النجاح

(افريقية الجنوبية) كانت الشيعة الكلوينيَّة في بدء القرن التاسع عشر سائدة في جنوبي افريقية لا تمكّن احدًا من المرسلين الكاثوليكيين الدخول في حوزتها وقد بطلت هذه السنن منذ نصف قرن فأُنشئت عدَّة رسالات في مستعمرة الكاب وناتال واورنج ورأس الرجاء الصالح والترنسڤال وباسوتولند فلا تكاد تجد مدينة ذات شأن الّا وللكاثوليك فيها اعمال جليلة. واكثر المرسلين عددًا في تلك الانحاء الرهبان المعروفون بمتطوعي مريم (Oblats de Marie) ثم اليسوعيون وغيرهم. ومجمل عدد الكاثوليك

في افريقية الجنوبية ٤٠,٠٠٠ لهم نحو مئة كنيسة ويسوسهم اربعة نوّاب رسوليّون و ١٢٠ مرسلًا

(جزائر افريقية) بعضها في بحر الهند وبعضها في البحر الاتلنتيكي فالاولى تحتوي ٦٠٠,٠٠٠ كاثوليكي منهم ٣٠٠,٠٠٠ في جزيرتي موريس والريونيون و ٢٠,٠٠٠ في جزائر سيشيل والباقون في مدغسكار. ومدغسكار هذه منذ أُطلقت فيها الحرّية للاديان تضاعف عدد كاثوليكها وتراهم كل يوم يتقاطرون الى حجر الكنيسة برغبة عجيبة حتى انّ مرسليها اليسوعيين الذين زرعوا بين الاضطهادات مدّة اربعين عامًا يحصدون اليوم بالفرح وقد ضاق ذرعهم عن القيام بتعليم اهل مدغسكار لكثرة المهتدين فطلبوا الى مجمع انتشار الايمان ان يرسل فئةً من رهبانيات اخرى ليجمعوا الحصاد في اهراء رب البيت. فقسم المجمع هذه الرسالة الى ثلاثة اقسام وَكل بقسمين منها الى الآباء اللعازريين وآباء الروح القدس وبقي القسم الثالث تحت ادارة اليسوعيين. ولهذه الجزائر تاريخ واسع يُخبر بكل احوالها وترقّي الكثلكة فيها منذ مئة سنة فصار عددهم نحو عشرة اضعاف ما كان

امّا جزائر افريقية الواقعة في البحر الاتلنتيكي المعروف عند العرب ببحر الظلمات فهي للبورتغاليين او للاسبانيين وكان الدين الكاثوليكيّ فيها منتشرًا قبل القرن التاسع عشر. اساقفتها اليوم ستّة يرعون بغيرة مرؤوسيهم الذين يبلغون ثلاثة ارباع سكّان تلك الجزائر. وعددهم ٨٤٠,٠٠٠

فترى من هذه اللائحة ما فازت به الكثلكة من النجاح في افريقية في مدة هذا القرن الاخير مع انّ اغلب الرسالات التي ذكرناها لم تبتدئ الّا من عهد قريب. تبارك الله في اعمال رسله واوليائه

● آسية

بقي علينا ان نبيّن للقرّاء ما نالتهُ بلاد آسيةَ من النصيب الوفي والتقدم الباهر بالدين الكاثوليكي في القرن التاسع عشر. غير انّ تتبُّع آثار الكثلكة في كل بلد من هذه القارة الواسعة يؤدي بنا الى الاطالة المملّة فنذكر اجمالًا ترقّي الكنيسة في الشرق الاقصى وآسية الوسطى لنفصل الكلام عن نجاحها في المملكة العليّة

(الصين) قد ذكرنا في مقالتنا عن الصين والمسألة الصينية (المشرق ٣: ٨١٨—

٨٥٢) لمة من اخبار الدين الكاثوليكي في تلك البلاد فلا حاجة الى التكرار · وكفانا هنا القول ان عدد الكاثوليك في دولة ابن السماء مع ما تلحق بها من منغوليا ومنشوريا والتّبت يناهز مليونًا · والمبشرون بالخلاص في تلك المملكة الواسعة ٧٠٠ مرسل من جميع الرهبانيّات نخصُّ منها بالذكر جماعة الرسالات الاجنبيّة واللعازريين واليسوعيين والفرنسيسيين تحت حكم اربعين اسقفًا

(اليابان وكوريا) هاتان الرسالتان أُحدثتا في أواسط القرن السابق واليوم فيهما من ابناء النور ١٠٠.٠٠٠ نفس يرشدهم آباء الرسالات الاجنبيّة ولليابان رئيس اساقفة وثلاثة اساقفة ولكوريا اسقفٌ واحد · وقد اصاب المسيحيين في كوريا اضطهادات عديدة في سبيل ايانهم وقُتل منهم ربوات فصارت دماؤهم زرعًا جديدًا للمؤمنين في عهدنا

(الصين الهنديّة) فيها للكاثوليك ثلاث رسالات كبرى في بوءانية وسيّام وأنّام وقد اضحى عددهم قريبًا من ثلاثة اضعاف ما كان منذ مئة سنة فهم اليوم ٧٥٠,٠٠٠ يرعاهم عشرة من النواب الرسوليين و ٨٣٠ كاهنًا وعدد الكنائس المشيَّدة هناك يُربي على المئتين

(الهند) انَّ عجائب الله ظهرت في تلك البلاد مدَّة القرن التاسع عشر ظهورًا شائقًا لم ترَ العين مثلهُ منذ أيام القديس فرنسيس كسفاريوس الملقَّب برسول الهند · فانَّ الرسالات الكاثوليكيَّة نمت فيها اي نموّ حتى صار مجموع عدد المؤمنين مليونَين وما كانوا في أواخر القرن الثامن عشر الّا ٤٧٥,٠٠٠ · امَّا رؤساء الاساقفة والاساقفة فهم اليوم ٣٠ مع ٧٢٠ كاهنًا من كل الرهبانيَّات · ولليسوعيين وحدهم خمس رسالات كبرى متعلّقة بخمسة اقاليم مختلفة وقد اثلج الله صدرنا بمشاهدة شيء من اعمالهم الخطيرة قبل خمس سنوات

(العجم) للآباء اللعازريين في العجم رسالة هي اليوم على قدم من النجاح وجلالة شاه العجم كثيرًا ما اظهر رضاهُ السامي من تصرُّف المرسلين وخلوص تعلُّق المسيحيين بالدولة · وللّعازريين اربعة اديرة في اورمية وطهران وخسروفا وتبريز · واكثر الكاثوليك من الطقس الكلداني عددهم نحو عشرة آلاف

(الدولة العليَّة) انَّ الديانة الكاثوليكيَّة قد وجدت في الممالك الشاهانيَّة مدَّة

القرن التاسع عشر تربة جيدة في ظل سلاطينها العظام ولذلك تراها بامت من التقدم والنموّ مبلغًا عظيمًا. وهذه قائمة الطوائف الكاثوليكيَّة الشرقيَّة في عهدنا مع بيان حالتها سنة ١٨٠٠ ونضمُّ اليها الكاثوليك الشرقيين الذين في مصر لتمام الفائدة

	ارمن	روم ملكيون	سريان	قبط	كلدان	موارنة	المجموع
١٨٠٠	٨٠,٠٠٠	٢٥,٠٠٠	١٠,٠٠٠	٤,٠٠٠	٥٠,٠٠٠	٢٠٠,٠٠٠	=٣٦٩,٠٠٠
١٩٠٠	١٣٠,٠٠٠	١٢٠,٠٠٠	٤٠,٠٠٠	٢٠,٠٠٠	٨٠,٠٠٠	٣٠٠,٠٠٠	=٦٩٠,٠٠٠
الفرق	٥٠,٠٠٠	٩٥,٠٠٠	٣٠,٠٠٠	١٦,٠٠٠	٣٠,٠٠٠	١٠٠,٠٠٠	=٣٢١,٠٠٠

فترى من هذا الجدول انَّ عدد الكاثوليك الشرقيين قد تضاعف في القرن السابق ثمَّ لا بُدَّ ان يُضاف الى هذا العدد نحو ٥٠,٠٠٠ من اللاتين في فلسطين وقبرس وسوريَّة والاناضول ولم يكن قبلًا يبلغ عشرة آلاف

امَّا اسباب هذا النموّ العجيب فمنها (اولًا) نموّ الكاثوليك بالتناسل (وثانيًا) اهتداء كثيرين الى الحظيرة البطرسيَّة لاسيَّما من اليعاقبة والنساطرة والروم على يد الاساقفة الكاثوليك الشرقيين والمُرسلين اللاتينيين. (وثالثًا) اتساع نطاق الاعمال الكاثوليكية من مدارس وتآليف وجرائد ومياتم ومُستشفيات ورياضات وارشادات. فانَّ كل ذلك من شأنه ان يستلفت انظار الشرقيين المنفصلين ويريهم رأي العيان علوّ مقام الكثلكة وما اودعها الله من القوَّة الالهيَّة

وكفى الكاثوليك الشرقيين فخرًا انَّ الحضرة الشاهانيَّة اظهرت رضاها السامي عنهم وعن خالص تعلقهم بالدولة العليَّة. كما انَّها رعاها الله تلطَّفت مرارًا وابدت لامام احبارنا شارات الاجلال والمودَّة وخصوصًا في يوبيلي لاون الثالث عشر فاهدى جلالة السلطان لقداسته الهدايا الثمينة منها خاتم بديع فيه يتيمةٌ فريدة وكتابة أبرقيوس التي ترتقي الى القرن الثاني للميلاد

امَّا نحن فنختم هذه المقالة طالبين من الله ان يعزّز شأن كنيسته في القرن الجديد كما فعل في القرن السابق وعسى اليوبيل الذي اعلنهُ الاب الاقدس في بدء هذه السنة يكون عربونًا وضمينًا عن هذا التقدُّم فلا يرى العالم في آخر القرن العشرين الَّا رعيَّة واحدة وراعيًا واحدًا وهو السميع المجيب

حبيس بحيرة قدس

للاب هنري لامنس اليسوعي

معربة بقلم المعلم رشيد الخوري الشرتوني (تابع لما سبق)

وكانت هذه الكلمات تتضمن تحت طي التهكم رفضاً صريحاً لطاعة اوامر المقدَّم وقد فهم مالك كل ما تعنيه غير انهُ لمَّا تذكر وصية مولاهُ الذي امرهُ ان يعود بجوسلين إمَّا حياً واما ميتاً رأى من الواجب ان يستدعي منهُ تكرار التنبيه على صاحب القليعة ولم يكن يجهل ما دون ذلك من الاخطار على حياتهِ ولو فُرض انهُ جهلها لأخطرها على بالهِ وجودهُ في تلك القلعة المنيعة ما بين قوم أشرار اهون ما عندهم سفك الدماء. ولكنهُ كان من الذين لا تهولهم المصاعب فعقد العزم على توفية حق المهمة التي أُرسل فيها ومتابعتها حتى نهايتها ثم خاطب جوسلين بقولهِ:

أهذا آخر جواب من جنابك؟

— هذا الجواب الاخير بلا مراء فافضل شيء لك والحالة هذه ان تعود من حيث اتيت لاني اشعر بان صبري قد فرغ ولا اعلم اي شيء يردّني عن معاقبة هذه الجسارة البادية من خادم حقير مثلك. فبناء عليهِ يجب ان تحسب نفسك سعيداً بسكوتي عنك وترخيصي لك بالسفر

غير انَّ مالكاً لم يُرهبهُ هذا الكلام مع ما فيهِ من الوعيد الظاهر بل قال:

اني مكلَّف بان لا اسافر من القليعة الَّا في صحبة جنابك. هكذا امرني بصريح المقال سيدي ومولاي المقدَّم رزق الله. وهو يرجو منك ان لا تحوجهُ الى استعمال وسائط أُخرى عنيفة ولكنك اذا خيَّبت رجاءهُ يضطر الى العمل بما لا تحب. فتبصَّر اذاً ايها السيد جوسلين واختر لنفسك ما يحلو امَّا ان تذهب الى بشراي وتبرّئ نفسك ممَّا يُسند اليك امام الامير رزق الله مقدَّم لبنان وامَّا ان تؤخذ قهراً وعنوةً من قصرك هذا. وانت ادرى بما للمعصية والثورة من العواقب الوخيمة وكفاك زاجراً عنهما ما حلَّ بمقدَّم ايطو فانهُ قد شُنق على اطلال البرج الذي ابتناهُ جزاء جسارتهِ على مخالفة مولاي وتمنُّعهِ عن الذهاب الى بشراي بنية استجوابهِ عن التهم التي نُسبت اليهِ

فما سمع جوسلين هـذه الكلمات حتى كاد يتمزَّق من الغيظ فانقلبت سحنتهُ وجحظت عيناه واندعر منهُ اتباعهُ مع انهم كانوا قد اعتادوا مشاهدتهُ في مثل هذه الحال ثم انهُ التفت الى مالك قائلًا:

كيف تجسر على تهديدي في قصري بحضور اعواني وجندي ؟ ألا تدري ايها الشقي انك قد سعيت الى حتفـك بظلفك ؟ نعم اني لا اعلم بما يعدهُ لي المستقبل في مطاوي اسراره ولكنهُ اذا كان لا بد ان تنتهي حياتي بالشنق فالواجب ان تعلم انك ستسبقني اليه واذا كنت اول من تجرأ على مخاطبتي بمثـل هذه التهديدات فثق بانك ستكون الاخير

وكانت في فناء القصر مشنقة منصوبة على الدوام لان جوسلين لم يبقَ لديه غير وسائل الارهاب للمحافظة على بقيَّة الترتيب والنظام ما بين مؤتمنيه وشركائه في جرائمه. ولم يكن يستطيع الاعتماد على فضة اليهودي نثنائيل الذي من حين سفره قطع اخباره بالتمام والكمال. وكان قبل بضعة ايام قد شنق جنديًّا متهمًا بكونه حاول الفرار وترك جثتهُ معلقةً تذكيرًا لحامية القليعة بان مولاهم لا يتساهل ولا يلين في الامور المتعلّقة بخدمته

وبموجب اشارة من جوسلين تقـدَّم عدد من الجنود المتسلحين فاحاطوا بمالك ووضعوا في عنقه حبلًا وباشارة ثانيـة منهُ ايضًا علقوهُ في المشنقة ففاضت روحهُ سريعًا ولحق بالجندي السابق ذكرهُ المتهم بالفرار وهكذا اصبح في مشنقة القليعة جثتان. ومع ان جنود جوسلين كانوا قـد تعوَّدوا رؤية هذه المشاهد وتربَّوا على عدم اعتبار الحياة البشريَّة بشيءٍ لم يقووا على عدم التأثر من هـذا الصنيع البربري فاقاموا في اماكنهم مبهوتين كأنهم تسمَّروا بها تسميرًا. وبينما هم على هذه الحال سمعوا ضجةً عظيمة لان « الريح » الذي هو حصان مالك كان قد توصَّل الى قطع القيود التي ربط بها في حلقة من الحديد مغروسة في السور فـار بسرعةٍ عظيمة الى الباب الذي كان قد أُبقي مفتوحًا وغاب عن الابصار في الطريق المؤدية الى جهة حصن سليمان

غير انهُ لم يحفل احد بما اظهرهُ الريح اولًا لان الحصان المذكور كان ذا منظر ضئيل فلم يكن احد ليطمع في امتلاكه وهب انهم طمعوا فيـهِ ما كانوا ليدركوهُ لانهُ في دقائق قليلة قطع مسافة شاسعة فات فيها جهد اللاحقين

وفي مساء النهار قبل مغيب الشمس حُفرت حفرة عميقة تحت المشنقة ودفنت فيها جثة مالك واقام جوساين ينظر اليها مدة بضع دقائق وهو يتبسّم تبسّم المتشفي ثم قال:

الآن يستطيع المقدم ان ينظر بصبر وتؤدة رجوع حاجبه وكيف يُردُّ القبر زائره وكيف يتكلم الاموات. نصبتَ لي يا رزق الله فخًا فاحبطتُ خديعتك فانا الآن على حذر ولسوف نعلم من ترجح بيده كفّة الميزان

١٧

ولنعد الى الكلام عن بشراي فنقول انَّ القوم فيها كانوا حتى ذاك الوقت يقيمون الاعياد فرحين بعودة المقدم رزق الله ظافرًا منصورًا وجميعهم ألسنة ناطقة بحمده لانهُ أبعد عن لبنان جائحة الحرب وكان الفلاح يتوقّع بمسرة نموّ زرعهِ دون ان يخشى عليه هجوم عدوّ والامهات تعتني بتربية اطفالهنَّ في سلام وسكينة بلا خوف من تعكّر كأس صفائهنَّ وعليه فان تلك الاشهر القليلة التي اظهر فيها المقدم حكمةً وثباتًا في التدبير كانت كافية لاحداث الثقة في كل محل وتأكيد الخصب والسلام في تلك الجبال الجميلة وقد نال هذه الثمرة برباطة جاشهِ وبالعقوبات الزاجرة التي انزلها بمن كانوا سببًا في اقلاق الراحة العمومية

ولمَّا كان يوم الاحد جلس الامير رزق الله بحسب عادتهِ الحميدة تحت السنديانة النابتة الى جانب الكنيسة الكبرى وجلس الى جانبهِ فرا غريفون الذي كان قد عاد حديثًا من سفرتهِ الى اوربَّة فاقبل المقدم يسألهُ عن رومية وعن الامراء الذين زارهم في جهات المغرب فجعل الراهب الفرنسيسيّ يقصّ عليهِ كيف انهُ لمَّا كان في رومية وفد تجار من البندقية حاملين رسالةً من عزيز مصر الى الحبر الاعظم وكانت مكتوبة على نصف طلحيَّة كبيرة وفي صدرها اعلام السلطان تليه العبارة الآتية: «ضاعف الله تعالى بهجة الحضرة السامية الباب الجليل القديس الروحاني الخاشع العامل بابا رومية عظيم الملَّة المسيحيَّة قدوة الطائفة العيسويَّة مملّك ملوك النصرانيَّة حافظ البحور والخلجان ملاذ البطاركة والقسوس والرهبان تالي الانجيل معرّف طائفته التحريم والتحليل صديق

الملوك والسلاطين » (١ . وبعد الدعاء هذه الكلمات « صدرت هذه المكاتبة عن الابواب الشريفة » وعلى اثر ذلك بَسْط الغرض المقصود مؤكدًا لقداسة الحبر الاعظم انهُ ينصر المسيحيين الافرنج في بلادهِ ويعطيهم ملءَ الحرّية في ممارسة شعائر ديانتهم وتجارتهم. ثم تشكّى من اعمال اللصوصية البحريّة التي كان يأتيها بعض القرصان الجنويين وسأل البابا ان يتوسَّط في المسألة منعًا لمثل هذه الحوادث

ولم يكن في رومية اذ ذاك من يعرف العربية سوى فرا غريفون فترجم الرسالة وعند عودتهِ الى الشرق اعطاهُ البابا جوابها الى سلطان مصر

ثمَّ ان فرا غريفون قصَّ ايضًا على المقدَّم رزق الله مواجهته لدوق بورغوندية اميره الذي قابلهُ بما لا مزيد عليهِ من التجلّة والاكرام في مدينة بروج قاعدة مملكتهِ. وكان الدوق المشار اليه اقدر واغنى سلاطين اوربَّة لذاك العهد وكانت ولايته شاملة لبلجكة وهولندة وعدَّة أقاليم أُخرى في شمالي فرنسة. وكان يهتم ايضًا بشؤون الشرق واحوالهِ لسببين اولهما دينيٌّ وهو احترامهُ للارض التي تقدَّست بحياة المخلّص والثاني سياسيٌّ وهو رغبتهُ في توسيع العلائق التجاريّة لممالكهِ مع هذه الجهات (٢

ولمَّا شاهد فرا غريفون الذي كان من جملة رعاياه خبيرًا بالأحوال التي يريد استيضاحها سُرَّ بهِ كثيرًا وأكرمهُ جدًّا وكان يفتكر وقتئذٍ في عقد محالفة مع ملك العجم فلهذا لما قابلهُ مقابلة الوداع صرَّح لهُ بأنهُ قد اختارهُ سفيرًا من قبلهِ لدى بلاط اصفهان (٣

وكان المقدَّم رزق الله يسمع حديث غريفون بشوق ولذة فلما دار الكلام على دوق بورغوندية قاطعهُ قائلًا:

انَّ سيدي الاب يوحنا رئيس دير القديسة تقلا كثيرًا ما كان يحكي لي عن الدوق فيليب الملقَّب بالصالح فهل هو حيٌّ للآن ؟

— أعطاك الله عمره وقد خلفهُ ولدهُ يوحنا فلقبهُ الشعبُ بالجسور لشجاعتهِ. غير انَّ الاسم الذي ذكرتهُ ايها الامير فطَّنني الى مهمّة خطيرة كُلفت بابلاغها اليك فقد كنَّا

---

١) عن صبح الاعشى للقلقشندي بحروفهِ ج ٤ ص ١٦٤

٢) راجع بارنت تاريخ دوقات بورغندية ٣) بارنت

نظنّ جميعاً ان الاب يوحنًّا البـار ينتمي الى أسرةٍ شريفة في المغرب فني سفرتي هذه وجدت انَّ ظنّنا في محلّهِ لان الاب المذكور هو من انسباء دوق بورغونية حتى انَّ الدوق يوحنا بعينهِ سألني عن اخبارهِ فلم استطع ان اذكر لهُ سوى معلومات يسيرة مبهمة لانّي كنت اجهل كلَّ الجهل ما جرى لهُ في غيابي

— ليطمئن بالك يا أبي من قبلهِ لانَّ صاحبي مالك قد سافر منذ اسبوع الى جبل الكثام. وهو رجل صلب لا تعوقهُ الاخطار مهما كانت عن تنفيذ ما أكلفهُ بهِ من المهمّات وانا الآن انتظر رجوعهُ من يوم الى آخر بذهاب صبرٍ . . . !

وما كاد يتمم هذه الكلمات حتى شاهد حصاناً راكضاً فأتى ووقف تجاه الجماعة المحيطين بالامير والاب غريڤون فعرفهُ الكل وقالوا « هذا الريح هذا حصان مالك »

(ستأتي البقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

PUBLICATIONS DE L'ECOLE DES LANGUES VIVANTES

Le livre de la Création et de l'Histoire d'Abou Zeid al-Balkhi, *édité et traduit par C. Huart*, T II

كتاب البدء والتاريخ لابي زيد البلخي

Tarikh es-Soudan par Abderrahman es-Saadi *traduction française par O. Houdas*

تاريخ السودان لعبد الرحمان السدي (القسم الثاني)

اهدانا مكتب اللغات الشرقيَّة الحيَّة في باريس هذين الكتابين وقد مرَّ في المشرق وصف اقسامها الاولى

١ (كتاب البدء والتاريخ لابي زيد البلخي) يتضمن هذا القسم الثاني من الفصل السابع الى التاسع من الاصل العربي وهو عبارة عن ٢٤٠ صفحة يُضاف اليها ترجمة افرنسيَّة وفهارس (ص ٢١٦). وقد اثنينا على هذا الكتاب ومؤلّفهِ ومتولي نشره وحسن طبعهِ ثناءً طيباً (المشرق ٢ : ١١٢٨) يصحّ كلهُ في هذا القسم الجديد. امّا الاغلاط الطبعيَّة والتصحيفات التي اشرنا اليها حينئذٍ فقد وجدنا مثلها في هذا الجزء كقولهِ (في الصفحة ٢٢) : « امّا معذَّبة وامّا تجلّد » والصواب « ولمّا تجلّدُ » اي

نتجـ‌ـلّد. وكقوله (ص ٧): « فكان يرقعَ واللائكَ حولهُ » والصواب « واللائكُ »
وغير ذلك. وممَّا يجدر ذكرهُ ان العلماء بعد بروز الجزء الاول من هذا الكتاب ارتابوا في مؤلّفهِ فلم يثبت عندهم أهو لابي زيد البلخي ام لغيرهِ. وكان جنـاب المسيو هوارت استند في نسبة هذا التأليف لابي زيد الى قول ابن الوردي في خريدة العجائب. لكن هذه الشهادة متأخرة ينقضها قول غيرهِ ممن سبقوهُ والله اعلم

٢ (تاريخ السودان لعبد الرحمان السعدي) هذا الجزء هو ترجمة افرنسيَّة غاية في الضبط لكتاب سبق لنا ذكرهُ في المشرق(٣: ٤٧٣). وقد ذيَّل جناب المترجم هذا القسم الثاني بحواشٍ عديدة مفيدة وختمهُ بفهرس عمومي لجميع الاعلام الواردة في الكتاب

تقويم المشرق

انجزت مطبعتنا الكاثوليكيَّة تقويمًا جديدًا تزفُّهُ الى قرَّاء المشرق كتذكرة للسنين الاربع التي مرَّت على هـــذه المجلة. والتقويم المذكور عبارة عن صفيحة طولها ٥٠ سانتيمترًا في عرض ٤٠ طُبعت على الحجر بخمسة الوان على هيئة شرقية بديعـة وقد أُلصق عليها ٢٤ ورقة لكل ١٥ يومًا ورقة تحتوي فضـلًا عن اعياد السنة الحسابات الثلاث الغربي والشرقي والهجري مع شروق الشمس وغروبها على الحسابين العربي والفرنجي وفسحة بيضاء كتذكرة للاعمال اليوميَّة. وفي ظهر الاوراق فهرس المقالات التي وردت في المشرق مدَّة سنيهِ الاربع السابقة عن العلوم والفنون كافَّةً ل. ش

شذرات

ذخائر القديس غريغوريوس المنوَّر — يؤخذ من التواريخ الارمنيَّة القديمة انَّ نرسيس الثالث بطريرك الارمن شيَّد سنـة ٦٥٤ للميلاد كنيسة كبيرة في مدينة « ڤاغارشابات » حيث كان الكرسي البطريركي وخصَّص هـــذه البيعة لاكرام القديس غريغوريوس المنوَّر وجعل فيها ذخائر رسول الارمن فوضع الرأس في ناووس من الحجر المانع وبنى فوقهُ المذبح الكبير. ثم قسَّم بقيَّة الذخائر اربعة اقسام جعل كل قسم منها تحت مذبح خاص. غير انَّ الحروب وآفات الزمان توالت على مدينــة ڤاغارشابات فخربت مع كنيستها واضطرَّ الرهبان الذين كانوا متولّين سدانتها الى ان يلتجئوا الى

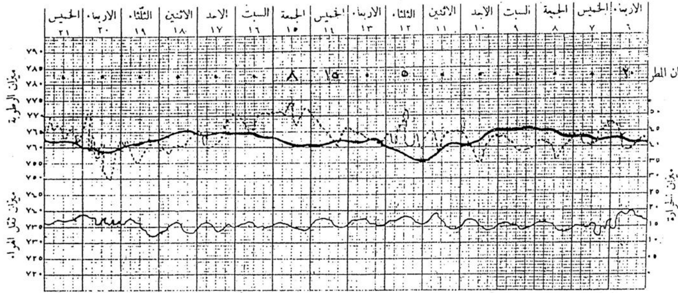
البلاد الغربيَّة وكانوا اخذوا معهم قبل فرارهم جمجمة القديس غريغوريوس فنقلوها الى نابولي ثمَّ الى رومة وهي حتى اليوم تكرَّم فيها

وبقيت الكنيسة المذكورة مجهولةً الى عهدنا حتى استدلَّ منذ سنتين على موقعها الاب دادبان الارمني الغريغوري ارشيمندريت كرسي اشميازين. فوجد في ايالة اريفان على مسافة ساعةٍ شرقاً من اشميازين تلاًّ كان يظهر بين اطلالهِ آثار قديمة فحفر هناك فوجد بقايا هيكل عظيم قدَّر انهُ هو البناء الذي شيَّدهُ نرسيس لذكر القديس غريغوريوس. ولم يزل يجدُّ في الحفر حتى ظهرت جدران الكنيسة واعمدتها في عدد ٩٠ عموداً ٦٤ منها في رواق الكنيسة و ٢٦ في داخلها. وللكنيسة المذكورة خمسة ابواب وخمسة مذابح. فتحقق الاب دادبان انها الكنيسة المشيَّدة بهمَّة البطريرك نرسيس لاسيما بعد اكتشافهِ كتابتين يستفاد من الاولى تخصيص الكنيسة للقديس المذكور وعلى الثانية باليونانيَّة اسم البطريرك نرسيس. ثم اخذ ينقّب عن ذخائر القديس غريغوريوس فوجدها الّا الجمجمة التي سبق القول انها نُقلت الى رومية لكنهُ وجد الناووس الحجري تحت الهيكل الكبير فارغاً. ومما اكتشفهُ ايضاً جرن العماد والموقه (السكرستيا) وآثار مسيحيَّة عديدة منها صلبان مصوَّرة بالفسيفساء. وقناديل وكؤوس. ومنها مزولة اي ساعة شمسيَّة عليها احرف ارمنيَّة للدلالة على تقاسيم الزمان.

وقد اكتشفوا ايضاً غربي هذا البناء قريباً منهُ على كنيسة أخرى صغيرة يُرجَّح انها كانت منذ عهد القديس غريغوريوس اقامها للمؤمنين الاولين الذين انارهم بنور الايمان. وقد وجد الاب دادبان في ردم هذه الكنيسة آثاراً عديدة وثنيَّة استنتج منها ان هذه الكنيسة كانت قديماً هيكلاً تُعبد فيهِ الاصنام فخصَّصهُ القديس غريغوريوس لعبادة الاله الحق. وهو امر يشهد بهِ التاريخ. ومن جملة هذه الآثار كتابات عديدة بالارمنيَّة العتيقة واليونانيَّة. ومنها صفيحة كبيرة طولها متران و ٢٠ سنتيمتراً وعرضها ٦٢ س عليها كتابة بالخط المسماري ذات ٤٧ سطراً نُقلت الى هذا المكان من هيكل كان مبنيًّا في قديم العهد في مدينة خودرلو المدعوة اليوم قُطُرلي. وهي كتابة مهمة جدًّا اقامها الملك روزاس الثاني ابن ارغستيس معاصر سنحاريب ملك بابل في القرن الثامن قبل المسيح. ولا شك ان آثاراً أخرى ستغني العلم اذا ما تمَّ الحفر

※ النوَر ※ ارسل الينا من الكرك جناب الاديب عبد الله افندي عكشة بعض افادات عن جيل النوَر ننشرها قريباً ان شاء الله مع اعلامات اخرى. ونشكر سلفاً لجناب الكاتب همَّتهُ.

قائمة للآثار الجوّيّة من ٦ الى ٢١ تشرين الثاني ١٩٠١



انّ الخطّ الضخم (ـــ) يدلّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتتابع (ـــــ) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امّا الخطّ المنقّط (......) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضًا اذا حذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيِّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملمترات وعُشر الملمترات